

خلاصة تاريخ نجران عبر أطوار التاريخ الإسلامي

(١-ق ١٥هـ / ٧-ق ٢١م) (*)

أ.د. غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب : منطقة نجران : دراسات، وإضافات،
وتعليقات (من قبل الإسلام - ق ١٥هـ / ق ٧ - ق ٢١ م)، لغيثان بن جريس،
(الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤١هـ / ٢٠١٩م)، (الجزء الأول)، ص ص ٢٧١ - ٢١٠.



الدراسة الخامسة

خلاصة تاريخ نجران عبر أطوار التاريخ الإسلامي

(ق١ - ق١٥هـ / ق٧ - ق٢١م)

بقلم : أ. د. غيثان بن علي بن جريس



الدراسة الخامسة : خلاصة تاريخ نجران عبر أطوار التاريخ الإسلامي (١-ق-١٥هـ/ق-٧-٢١)

م	العنوان	الصفحة
أولاً :	تسمية نجران	٢٧٢
ثانياً :	نجران في العهد النبوي	٢٧٣
ثالثاً :	نجران في العهد الراشدي	٢٨٦
رابعاً :	نجران في العصرين الأموي والعباسي وما بعدهما :	٢٩٥
	١. الوضع السياسي بعد العهد الراشدي حتى القون الرابع الهجري/العاشر الميلادي	٢٩٥
	٢. أحوال نجران السياسية منذ القرن الرابع الهجري إلى القرن العاشر الهجري	٢٩٨
خامساً :	نجران في العصر الحديث والمعاصر	٣٠٠
	١. نجران منذ القرن العاشر إلى نهاية القرن الثاني عشر الهجري	٣٠٠
	٢. نجران خلال القرنين (١٣ - ١٤ هـ ١٩ - ٢٠).	٣٠٣
سادساً :	آراء ووجهات نظر	٣١٠

أولاً - تسمية نجران :

إن تسمية بلاد نجران تعود إلى شقين: شق لغوي، وآخر نسبي. فالنَّجْرُ في اللغة هو القطع فيقال: نجر النجار، أي قطع العود ونجره. ويقال: النجر عمل النجار ونحته، والنجر أيضاً هونحت الخشبة، ونجارة العود، وما أنتجت منه عند النجر، والنجار صاحب النجر وحرفته النجارة^(١).

والنجران: هو الخشبة التي تدور فيها رجل الباب^(٢) فيقول الشاعر:

صَبَبْتُ الْمَاءَ فِي النَّجْرَانِ صَبًّا تَرَكْتُ الْبَابَ لَيْسَ لَهُ صَرِيرٌ^(٣)

ويقول ياقوت الحموي: إن النجران: هو خشبة يدور عليها رتاج الباب^(٤) ويدل على ذلك شعراً فيذكر البيت التالي:

(١) جمال الدين أبو الفضل بن منظور، لسان العرب، نسقه وعلق عليه ووضع فهرسه: علي شيري، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م)، ج ١٤، ٥١.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م)، ج ٥، ٢٦٦.

وَصَيْتُ الْبَابَ فِي النَّجْرَانِ حَتَّى تَرَكَتُ الْبَابَ لَيْسَ لَهُ صَرِيرٌ^(١)
والمقصود بالرتاج، أي الإغلاق، فيقول ارتج الباب أي أغلقه إغلاقاً وثيقاً، وأنشد
الشاعر قوله:

أَلَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبِّي وَإِنِّي لَبَيْنُ رِتَاجٍ مُقْضَلٍ وَمَقَامٍ^(٢)
وفي الحديث: إن أبواب السماء تفتح ولا تُرْتَجُ، أي تغلق، وفي الحديث أيضاً: جعل ماله
في رتاج الكعبة، أي فيها، فكنى عنها بالباب^(٣).

أما تسمية نجران النسبية فتعود إلى نجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب
ابن قحطان، لأنه كان أول من عمرها ونزلها، وإنما صار إلى موضع نجران، لأنه رأى رؤيا
فهاولته، فنزل فخرج حتى انتهى إلى واد فنزل به فسمي نجران به^(٤)، وفي رواية أخرى ورد
اسم نجران بن زيد بن سبأ^(٥). وهكذا نجد أن تسمية نجران سواء لغوياً أو نسبياً تكاد
تكون مكملة بعضها لبعض، فإذا قلنا إن النجران خشبة تدور (أو) يدور عليها رجل الباب
(أو) رتاجه، فهذا صحيح لأن موقع نجران تعد فعلاً شبيهة بالخشبة التي تدور عليها رجل
الباب، وذلك لأهمية موقعها الذي تحتله، وهذا الذي أكسبها ميزة مهمة جعلتها محط
التقاء القوافل التجارية بين اليمن والحجاز وأطراف شبه الجزيرة العربية الأخرى، كما
أن موقعها أيضاً أكسبها قوة اقتصادية نتيجة لتنوع محصولاتها الزراعية، ولأن أسواقها
التجارية تأتي ضمن الأسواق النشيطة والمهمة في شبه الجزيرة، وإذا نظرنا إلى الشق
النسبي من الاسم نجده جاء أيضاً مكملاً للشق اللغوي حيث صارت المنطقة ملتقى لعدد
من القبائل العربية التي نزلتها واستقرت بها منذ أن انتجعها نجران بن زيد (زيدان) بن
سبأ، فعرفت المنطقة باسمه لكونه أسهم باستقراره في هذا الوادي في اجتماع هذه القبائل
هناك وأسهم - بالتالي - في نهضتها الحضارية.

ثانياً - نجران في العهد النبوي:

في أعقاب الهدنة التي عقدها رسول الله ﷺ مع قريش أثناء صلح الحديبية^(٦)،
أخذ يبعث سفراءه إلى الأمصار في الشرق والغرب وإلى الشمال والجنوب يدعوهم إلى

(١) المرجع السابق.

(٢) ابن منظور، جمال الدين. لسان العرب، مرجع سابق، ج ٥، ١٢٠.

(٣) المرجع السابق.

(٤) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، مرجع سابق، ج ٥، ٢٦٦.

(٥) المرجع السابق؛ ولزيد من التفصيلات عن فروع قبائل اليمن قبل الإسلام بما فيهم أولاد زيد بن سبأ بن يشجب
بن يعرب. انظر: عبد الملك بن قريب الأضمعي، تاريخ العرب قبل الإسلام، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين،
(بغداد: مطبعة دار المعارف، منشورات المكتبة العامة، ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م)، ٥٦، وما بعدها.

(٦) للمزيد عن صلح الحديبية، انظر: عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، (بيروت:
دار القلم، د.ت)، ج ٢، ٢٢١-٢٢٩؛ محمد بن عمر الواقدي، كتاب المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، (بيروت:
عالم الكتب، ١٩٦٥م)، ج ٢، ٥٧١-٥٧٢.

الإسلام^(١)، ومن هذه الأمصار، مدينة نجران، ففي سنة ١٠هـ (٦٣١م) بعث إليها سرية بقيادة خالد بن الوليد قوامها (٤٠٠) رجل، في ربيع الآخر من السنة المذكورة، وكانت السيادة بنجران بيد بني الحارث بن كعب^(٢).

وقد أوصى خالد بأن يقيم بينهم ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام فإن أجابوا أقاموا بينهم ليعلموهم أساسيات ما جاء به الإسلام من تعاليم، مثل: التوحيد والصلاة والصيام، كما جاء في الكتاب والسنة وإن لم يجيبوا حاربهم^(٣).

وقد وصلت سرية خالد إلى نجران، وصنع معهم كما أمره رسول الله ﷺ، فأمنوا، ولا سيما بنو الحارث بن كعب، وتبعتهم القبائل الأخرى، إلا النصارى فإنهم ظلوا على ديانتهم، وأقام المسلمون بينهم يعلمونهم الإسلام وشرائعه، وأخذوا الصدقات من أغنيائهم وردوها على فقرائهم^(٤).

كان بنو الحارث بن كعب قد دخلوا في الإسلام، وكانوا قبل ذلك عازمين على القتال وأعدوا له العدة، فلما إذا هذا التغير في الموقف. ونرى أن السبب في ذلك يعود لعاملين رئيسين. الأول سياسي، فالدولة الإسلامية في هذه الفترة التي نتحدث عنها، وهي السنة العاشرة للهجرة، قد أصبحت قوة مرهوبة الجانب ولاسيما بعد فتح مكة والقضاء على قريش، فوجد أهل نجران أن من العبث محاربة المسلمين، فدخلوا الإسلام حقناً لدمائهم. أما العامل الثاني: فأسبابه دينية، والمعروف أن الديانة اليهودية ثم المسيحية قد أخذتا طريقهما إلى اليمن ولاسيما مدينة نجران التي توجد بها كعبة نجران، والكثير من الكنائس والأديرة، فكان بها عدد كبير يعتنقون المسيحية، ولا شك أن لهؤلاء تأثيراً على القبائل الوثنية، فحتماً إذا ما قارنا بين عبادتهم للحجارة وبين ما عليه النصارى من ديانة، وقد كانت هذه الفرصة مواتية عندما جاءت الدعوة إلى الإسلام، التي تدعو إلى عبادة إله واحد، فكانت إيذاناً بتحول نجران إلى الإسلام وعبادة الله سبحانه وتعالى، فدخلوا الإسلام في غضون أيام قلائل.

وبعد نجاح خالد بن الوليد في مهمته سلماً وإقناعه أهل نجران بالدخول في الإسلام،

(١) عن سفارات الرسول ﷺ وكتبه إلى ملوك وأمرء الأمصار والمناطق المجاورة انظر: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، (بيروت: دار النفائس، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م)، ١٣٥ وما بعدها.

(٢) علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ط٢. (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٨م)، مرجع سابق، ج ٤، ١٨٨، ١٨٩.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، (الرياض: دار طيبة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م)، ٩٤؛ أحمد بن يحيى البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، (القاهرة: معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف، د.ت)، ج ١، ٣٨٤.

(٤) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (بيروت: دار سويدان، د.ت)، ج ٢، ١٢٦؛ غيثان بن علي بن جريس، نجران: دراسة تاريخية حضارية (ق ١ - ق ٤ هـ / ق ٧ - ق ١٠م)، (الرياض: مطابع العبيكان، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م)، ج ١، ٢٣؛ حسين علي المسري، "نجران ودورها السياسي والاقتصادي"، مجلة المؤرخ المصري، ٩٤، (القاهرة: جامعة القاهرة، ١٩٩٢م)، ٤١، ٩٠.

بعث بكتاب إلى رسول الله ﷺ يخبره بذلك، وأنه مقيم بينهم تلبية لأوامره يعلمهم شرائع الإسلام، وهو في انتظار الجديد من تعليماته ﷺ^(١)، فأجابه الرسول ﷺ برسالة يخبره من خلالها بوصول كتابه الحاوي لنبا إسلام أهل نجران ويأمره بالعودة إلى المدينة، وبصحبه وفد من مسلمي نجران^(٢).

فلما وصل كتاب رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد، أخبر بني الحارث بن كعب برغبة رسول الله ﷺ بمقابلة وفدهم، فشكوا الوفد من أشرافهم، ثم جاء خالد إلى المدينة ورفقته وفد نجران^(٣)، ويمدنا الطبري بأسماء أعضاء الوفد النجراني وكان عددهم ستة أشخاص هم: قيس بن الحصين بن يزيد بن قنان ذو الفصة^(٤)، ويزيد بن عبد المدان الحارثي، ويزيد بن المحجل، وعبد الله بن قريظ الزيادي، وشداد بن عبد الله القناني، وعمرو بن عبد الله الضبابي^(٥)، فلما رآهم الرسول ﷺ قال: "من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند، قيل يا رسول الله، هؤلاء بنو الحارث بن كعب"^(٦)، وربما شبههم الرسول ﷺ برجال الهند بسبب سمرة بشرتهم أو بسبب ملابسهم وأزيائهم التي يرتدونها، أو بهما معا.

وعندما وقفوا أمام الرسول ﷺ سلموا عليه، ثم قالوا: "نشهد أنك رسول الله وأن لا إله إلا الله، فقال رسول الله: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ثم قال رسول الله ﷺ أنتم الذين إذا زجروا استقدموا! فسكتوا، فلم يراجعهم منهم أحد"^(٧) ثم أعاد الرسول ﷺ عليهم هذه العبارة أربع مرات، وهم لا يردون عليه، وفي الرابعة قال يزيد بن عبد المدان: "نعم يا رسول الله، نحن الذين إذا زجروا استقدموا"^(٨). قالها أربع مرات

(١) ابن هشام، عبد الملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، ج ٤، ٢٣٩؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ج ٢، ١٢٧؛ ابن جريس، غيثان بن علي. نجران، مرجع سابق، ٦٤.

(٢) محمد بن سعد البصري، الطبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م)، ج ١، ٢٣٩. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ج ٢، ١٢٦، ١٢٧.

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ج ٢، ١٢٧.

(٤) سمي بذي الفصة، لفصة كانت تعتره في حلقه حين يتكلم، وكان فارساً من ذوي الرباع؛ أي الذين كانوا يأخذون ربع الغنيمة التي يغنمها قومه في حروبهم مع غيرهم حضرها أم لم يحضرها. انظر: ابن هشام، عبد الملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، ج ٤، ٢٤١.

(٥) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ج ٢، ١٢٧؛ وللمزيد انظر: ابن سعد، محمد. الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ج ١، ٢٣٩؛ المسري، حسين علي. "نجران ودورها السياسي والاقتصادي"، مجلة المؤرخ المصري، مرجع سابق ٤٢ وما بعدها؛ علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب، مرجع سابق، ج ٤، ١٨٨؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، ج ١، ٦٥.

(٦) ابن هشام، عبد الملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، ج ٤، ٢٤٠. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ١٢٧.

(٧) ابن سعد، محمد. الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ج ١، ٢٤٠.

(٨) ابن هشام، عبد الملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، ج ٤، ٢٤٠ - ٢٤١؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ج ٢، ١٢٧، ١٢٨؛ ويقصد بالزجر هنا، أي نوع من الكهانة والعيافة، والزجر للطير هو التيمن والتطير منها والتفاؤل بها. انظر: ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل. لسان العرب، مرجع سابق، ج ٦، ٢١، فعل (زجر). وعادة الكهانة كانت من العادات السائدة عند العرب قبل الإسلام، ويتضح من سياق الحديث أنها كانت موجودة عند أهل نجران.

فقال رسول الله ﷺ: " لو أن خالد بن الوليد لم يكتب إليّ فيكم أنكم أسلمتم، ولم تقاتلوا لألقت رؤوسكم تحت أقدامكم " (١).

ويتضح من هذا اللقاء الذي حدث بين الرسول ﷺ ووفد نجران، ومن العبارات التي دارت بينهما أن الرسول ﷺ كان غاضبا عليهم وبخاصة ما ورد في العبارة الأخيرة. ولا ندري ما السبب، فإن كان غضب الرسول ﷺ لأنهم كانوا يعملون بالزجر والكهانة، فهذا لم يكن غريبا على الرسول ﷺ الذي كان يعرف أن هذه العادات كانت سائدة عند العرب قبل الإسلام، وإن كان غضبه لأن الوفد لم يتجاوب معه عندما سألهم لأول مرة، ولم يردوا عليه إلا بعد أن سألهم أربع مرات، ليكون ردهم عن سؤاله إجابتهم إياه - صلى الله عليه وسلم - أربع مرات أيضا، فهذا الأمر حدث مرات عديدة مع الرسول ﷺ، بل كان هناك من عرب الجزيرة من يأتي إلى النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - ويهاجمه بالكلام ويشتمد عليه في القول، فيما كان الرسول ﷺ لينا رفيقا في معاملته وتجاوبه مع مثل أولئك (٢).

ونجد ابن هشام، والطبري، وابن كثير يوردون هذا الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وبين وفد نجران، دون أن يذكروا سبب غضب النبي ﷺ (٣)، في حين أن بعض المصادر التاريخية الأخرى قد أشارت إلى سرية خالد بن الوليد إلى اليمن، وإلى هذه المقابلة مع الرسول ﷺ مع تجنب ذكر هذا الحوار الذي يتصف بشدة اللهجة في كلام الرسول ﷺ، وربما أن هذه المصادر شكت في صحة إسناد هذا الحوار إلى رسول الله ﷺ أو أنها تحاشت ذكره، فاليعقوبي وابن خلدون ذكرا بعض تفاصيل تلك السرية، وذلك اللقاء، لكنهما لم يوردا الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ ووفد نجران (٤). كما لم يشر ابن سعد في (الطبقات) إلى هذا الحوار، مع أنه ذكر أن رسول الله ﷺ أكرم وفد نجران ووزع عليهم الجوائز، فأعطى كل واحد منهم عشر أواق، ما عدا قيس بن الحصين، إذ أعطاه اثنتي عشرة أوقية، وجعله أميرا عليهم (٥). أما ابن الأثير الذي يعتمد في نقله على الطبري، فقد -تجنب- أيضا ذكر هذا الحوار مع أنه أشار إلى حديث الرسول ﷺ مع هذا الوفد (٦).

(١) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ج ٣، ١٢٧، ١٢٨؛ ابن هشام، عبد الملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، ج ٤، ٢٤٠، ٢٤١.

(٢) ونجد القرآن يذكر آيات كثيرة يوضح فيها لين الرسول ﷺ مع المسلمين، أثناء قيامه بالدعوة قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٣) ابن هشام، عبد الملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، ج ٤، ٢٤٠، ٢٤١؛ أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبوالمحم وأخرون، (بيروت: ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م)، مج ٣، ٥، ٨٨، ٨٩.

(٤) أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، (بيروت: دار بيروت، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م)، ج ٢، ٧٩؛ عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، وسهيل زكار، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م)، ج ٢، ٤٧٣.

(٥) ابن سعد، محمد. الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ج ١، ٣٣٩، ٣٤٠.

(٦) علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: نخبة من العلماء، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م)، ج ٢، ١٩٩، ٢٠٠.

وإذا كان الطبري، وابن هشام، وابن كثير هم الذين تحدثوا عن هذا اللقاء والحوار الذي دار بين الرسول ﷺ ووفد نجران^(١) فقد واصل ثلاثتهم بقية الحوار، بعد أن رد عليهم الرسول ﷺ ردا فيه عنفٍ وحدة، فقال يزيد بن عبد المدان: "أما والله يا رسول الله، ما حمدناك ولا حمدنا خالدًا، فقال رسول الله ﷺ فمن حمدتم؟ فقالوا: حمدنا الله الذي هدانا بك يا رسول الله، قال: صدقتم"^(٢).

وقد عرف بنو الحارث في الجاهلية بالشجاعة والإقدام، وشدة البأس، والصبر في الحروب، فما حاربهم أحد إلا انتصروا عليه، وكذلك اشتهروا بالكرم، والعدالة، وطيب الأخلاق والتعاون فيما بينهم، وكان الرسول ﷺ يعرف ما تواتر عنهم من تلك الصفات فأراد أن يقف على ذلك بنفسه ويعرف سر انتصاراتهم في الحروب، فواصل الحديث معهم بقوله: "بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟ قالوا: لم نكن نغلب أحداً. فقال رسول الله ﷺ بل قد كنتم تغلبون من قاتلكم، قالوا: يا رسول الله، كنا نغلب من قاتلنا، أنا كنا بني عبيد، وكنا نجتمع ولا نتفرق، ولا نبداً أحداً بظلم، قال: صدقتم"^(٣).

وفي نهاية المقابلة مع الرسول ﷺ عاد وفد الحارث بن كعب إلى بلادهم نجران في أواخر شهر ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة^(٤). كما رأى رسول الله ﷺ أن أهل نجران في حاجة إلى من يبصرهم بتعاليم الإسلام ويفقههم في أمور الدين، ويفسر لهم ما جاء في الكتاب والسنة من التعاليم وكيفية أخذ الصدقات، وكان الأوفق أن يبعث إليهم من يقوم بهذه المهمة فاختر عمرو بن حزم بن زيد بن لوزان الخزرجي الأنصاري، ويرافقه شخص من بني النجار، وكان عمرو حين بعثه رسول الله ﷺ في السابعة عشرة من عمره^(٥)، متمتعاً بالذكاء وسعة العلم بأمور الدين والتفقه فيه، وقد زوده رسول الله ﷺ بكتاب إلى أهل نجران وهو عقد بين رسول الله ﷺ وبينه، يتعهد فيه عمرو أن يعمل بما جاء في هذا الكتاب. ويتضمن هذا الكتاب مجموعة من التشريعات والتنظيمات تتصل بالحياة الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وواضح أن الهدف من هذه التنظيمات، أن تكفل حياة كريمة آمنة لمجتمع قبائل نجران^(٦).

(١) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ج ٢، ١٢٨: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج ٣، ج ٥، ٨٩.

(٢) ابن هشام، عبد الملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، ج ٤، ٢٤٠: ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، ج ١، ٦٧.

(٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج ٣، ج ٥، ٨٩، ٩٠: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ج ٣، ١٢٨، ١٢٩.

(٤) ابن هشام، عبد الملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، ج ٤، ٢٤٠: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ج ٢، ١٢٨: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج ٣، ج ٥، ٨٩، ٩٠.

(٥) البلاذري، أحمد بن يحيى. أنساب الأشراف، مرجع سابق، ٥٢٨، ٥٢٩: ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، ج ١، ٦٩.

(٦) انظر نص هذا الكتاب عند: ابن هشام، عبد الملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، ج ٤، ٢٤١، ٢٤٢: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ١٢٨، ١٢٩، ابن خلدون، عبد الرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، ج ٢، ٤٧٢، ٤٧٤: حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ٢٠٧، ٢٠٨.

ويبدو أن عمرو بن حزم كان وثيق الصلة برسول الله ﷺ فكان يطلعه حتى على أموره الخاصة، فقد بعث إليه ذات مرة رسالة يخبر فيها رسول الله ﷺ أنه رزق بمولود ذكر سَمَاهُ "محمدًا" تيمناً برسول الله، وكانه بأبي سليمان، فرد عليه رسول الله ﷺ بقوله: بل كنهه بأبي عبد الملك، وظل عمرو بن حزم عاملاً على نجران إلى أن توفى رسول الله ﷺ وهو عليها^(١).

ولم يقتصر الرسول ﷺ في دعوة أهل نجران ومن حولهم من قبائل اليمن على تلك السرية التي أرسلها تحت قيادة خالد بن الوليد^(٢) وإنما حث خالد بن الوليد على أن يتوغل في أرض اليمن الواقعة إلى الجنوب من بلاد نجران، وقد فعل ذلك، واستمر يدعوهم إلى الإسلام مدة ستة أشهر، لكنهم لم يتجاوبوا معه، وبقوا على وثنياتهم^(٣)، فأرسل الرسول ﷺ سرية أخرى بقيادة علي بن أبي طالب إلى اليمن، وأمره بأن يعود خالد بن الوليد ومن معه إلى المدينة، وإن أراد أحد من رجال خالد بن الوليد البقاء مع سرية. يقصد علي بن أبي طالب. فليتركه^(٤). وعندما سمعت قبائل اليمن بمسيرة علي بن أبي طالب نحوها استعدت لقتاله، وعند وصوله حدود بلاد اليمن، جمع رجاله فصلى بهم، ثم حثهم على قتال المشركين، ومن يحارب الله ورسوله من أهل اليمن، ثم واجه بعض القبائل اليمنية، فأنذرهم، وقرأ عليهم كتاب النبي ﷺ فأسلمت همدان كلها في ذلك اليوم^(٥)، فكتب علي ابن أبي طالب إلى النبي ﷺ يخبره بإسلام همدان، فحمد النبي ﷺ الله وأثنى عليه، وخرَّ ساجداً شكراً لله، ثم جلس وقال: "السلام على همدان" ثلاث مرات^(٦).

ويتضح لنا من ذلك أن الرسول ﷺ كان حريصاً على أن يتوغل الإسلام في أرض اليمن وغيرها وصولاً لتحقيق عالمية الإسلام، فلم يقتصر على دخول أهل نجران في الإسلام، وإنما كان ذلك بمثابة مرحلة أولى في طريق دخول الإسلام إلى كل أصقاع

(١) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ج ٣، ١٣٠؛ البلاذري، أحمد بن يحيى. أنساب الأشراف، مرجع سابق، ج ١، ٥٢٨، ٥٢٩؛ علي، جواد، المفصل، مرجع سابق، ج ٤، ١٩١؛ حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ٢١١؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، ج ١، ٧١.

(٢) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ج ٢، ١٢٦؛ ابن سعد، محمد. الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ج ١، ٢٢٩؛ ابن هشام، عبد الملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، ج ٤، ٢٢٩.

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ج ٢، ١٢٩، ١٣٠؛ ابن خلدون، عبد الرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، ج ٢، ٤٧٥؛ علي، جواد. المفصل، مرجع سابق، ج ٤، ١٨٩ وما بعدها.

(٤) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ج ٣، ١٢٢؛ ابن الأثير، علي بن أبي الكرم. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ج ٢، ٢٠٥. قال الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب: (مر أصحاب خالد من شاء منهم يعقب معك فليعقب، ومن شاء فليقبل...) ابن كثير، إسماعيل. البداية والنهاية، مرجع سابق، مج ٢، ٥٣، ٩٢.

(٥) للمزيد عن قبيلة همدان، انظر: هشام بن محمد بن السائب الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: ناجي حسن، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م)، ج ٢، ٥٠٩؛ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، جمهرة أنساب العرب، راجعه: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م)، ٢٩٢-٢٩٥، ٤٧٥؛ الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوغ، (الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م)، ٩٦-١٠٥.

(٦) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، ج ٢، ١٢٢؛ ابن خلدون، عبد الرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، ج ٢، ٤٧٥؛ ابن كثير، إسماعيل. البداية والنهاية، مرجع سابق، مج ٢، ج ٥، ٥٠٩٤.

اليمن حيث نراه يعقب على سرية خالد بسرية جديدة على رأسها علي بن أبي طالب، بعد أن تعسر على خالد إقناع اليمنيين في جنوب نجران بالدخول في الإسلام، فتجحت هذه السرية في إدخال همدان سلماً في الإسلام.

كما أرسل الرسول ﷺ علي بن أبي طالب في مهمة أخرى في السنة العاشرة أيضاً، وكانت المهمة تلك المرة إلى أهل نجران^(١) ليجمع الصدقات من المسلمين، ويأخذ الجزية من أهل الذمة.

أما نصارى نجران الذين ظلوا على مسيحياتهم^(٢)، ولم يدخلوا في الإسلام مع من دخل من أهل نجران، فقد بعث إليهم الرسول ﷺ كتاباً موجهها إلى أساقفتهم، قال فيه: "بسم الله، من محمد رسول الله إلى أساقفة نجران: بسم الله، فإني أحمد إليكم إله إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، أما بعد ذلكم فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أنتم أبيتم فالجزية، وإن أبيتم أذنتكم بالحرب والسلام"^(٣). ويتضح من هذا الكتاب أن الرسول ﷺ بين لهم ما يجب عمله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، فإن لم يرضوا بهذا المطلب النبيل فإن عليهم دفع الجزية عن يد وهم صاغرون، فإن امتنعوا عن هذا أيضاً فليس بينهم وبين المسلمين إلا الحرب حتى يذعنوا لواحد من هذين الشرطين.

وبعد وصول كتاب رسول الله ﷺ إلى نصارى نجران علموا وتأكدوا من جدية الرسول ﷺ في مطلبه، فاجتمعوا وتشاوروا فيما بينهم، ووصلوا في نهاية اجتماعهم إلى إرسال

(١) ابن هشام، عبد الملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، ج ٤، ٢٤٧: ابن خياط، خليفة. تاريخ ابن خياط، مرجع سابق، ٩٧؛ ابن الأثير، علي بن أبي الكرم. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ج ٢، ٢٠٥: كان الرسول ﷺ حريصاً على تزويد عماله بالتعليمات الشرعية الأساسية التي يسرون عليها، فتجده يزود معاذ ابن جبل ببعض تلك النصائح والتعليمات عندما اختاره عاملاً على اليمن، فيقول له: (إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)؛ ابن كثير، إسماعيل. البداية والنهاية، مرجع سابق، ج ٢، ٩٠، ٥؛ وللمزيد عن رحلة معاذ بن جبل من حاضرة الدولة الإسلامية (المدينة المنورة) إلى الطائف ثم بلاد السراة إلى نجران حتى دخل صنعاء، انظر: عمر بن علي الجعدي بن سمرة، طبقات فقهاء اليمن، تحقيق: فؤاد سيد، (بيروت: دار القلم، د. ت)، ١٧، ١٨؛ الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب. صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ١٤٤؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، ج ١، ٧٢.

(٢) يذكر أن المسيحية لم تنتشر في أهل نجران خاصة، وأهل اليمن عامة إلا في قلة من الناس، والدليل على ذلك أن الكتاب المقدس لم يترجم إلى العربية في عصر ما قبل الإسلام، بينما ترجم إلى لغات البلاد التي انتشرت فيها المسيحية انتشاراً واسعاً، وهذا يؤكد على أن كنيسة نجران وغيرها من الكنائس في اليمن استخدمت اللغة العربية، وربما استخدمت السريانية أو العبرية. عصام الدين عبدالرؤوف الفقي، اليمن في ظل الإسلام منذ فجر الإسلام حتى قيام دولة بني رسول، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م)، ٢٥٢.

(٣) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، ج ٢، ٨١؛ الفقي، عصام الدين عبدالرؤوف. اليمن في ظل الإسلام، مرجع سابق، ٢٥٤.

وقد من أعيانهم إلى الرسول ﷺ ليناقشوه ويعرفوا حقيقة الأمور منه بشكل مباشر^(١).

وقد اختلفت المصادر في ذكر عدد أفراد وفد نصارى نجران، فمنهم من قال: إن عددهم أربعة عشر رجلاً من رؤسائهم وأشرفهم^(٢) ومنهم من قال: إن عددهم ستون^(٣)، وآخرون قالوا أربعون^(٤)، فيما يشير ابن خلدون إلى أن عددهم سبعون نصرانياً^(٥).

والاختلاف الذي وقع فيه المؤرخون حول عدد أفراد هذا الوفد، غير ذي أهمية، والمهم أنهم جميعاً أجمعوا على خروج وفد نجران النصراني إلى المدينة لأجل مقابلة الرسول ﷺ، بل إنهم قد ذكروا بعض أسماء الوفد، مثل أميرهم العاقب، واسمه عبدالمسيح وهو من قبيلة كندة، وأسقفهم وزعيمهم الروحي أبوالحارث بن علقمة^(٦)، وأخوه كرز بن علقمة من قبيلة بني الحارث^(٧)، وصاحب إدارة شؤونهم المالية، السيد ابن الحارث^(٨) وأخوه أوس، وعدد آخر ورد ذكرهم في بعض المصادر التي أشارت إلى هذا الوفد^(٩).

ويبدو أن بعض أفراد هذا الوفد كان عالماً بصحة نبوة الرسول ﷺ فهذا هو زعيمهم الروحي أبوالحارث بن علقمة يعترف لأخيه كرز بن علقمة بشكل واضح وصريح بذلك، حيث ترجم له ابن سعد في طبقاته فيقول عنه: "كان أسقفهم وإمامهم، وصاحب مدارسهم، وله فيهم قدر، فعثرت به بغلته^(١٠)"، فقال أخوه: تعس الأبعد، يريد رسول الله ﷺ فقال أبوالحارث بل تعست أنت، أتشتم رجلاً من المرسلين؟ إنه الذي بشر به عيسى، وإنه لفي التوراة، قال: فما يمنعك من دينه؟ قال: شرفنا هؤلاء القوم، وأكرمونا، ومولونا وقد أبوا إلا خلافه^(١١)، فحلف أخوه (كرز) ألا يثني له صعراً حتى يقدم المدينة فيؤمن

(١) ابن سعد، محمد، الطبقات، مرجع سابق، ج ١، ٢٥٧؛ علي بن الحسين بن علي المسعودي، التنبيه والإشراف، إشراف وتحقيق: لجنة تحقيق التراث، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨١م)، ٢٥٥؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، ج ٢، ٤٧٧.

(٢) ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، ج ١، ٢٥٧.

(٣) المسري، حسين علي. "نجران ودورها"، مجلة المؤرخ المصري، مرجع سابق، ج ٩، ٦١؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، ج ١، ٧٥.

(٤) حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق السياسية، مرجع سابق، ١٨٢؛ انظر أيضاً: أبوالفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن الكريم، (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، ج ١، ٢٧٦.

(٥) ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، ج ٢، ٤٧٧.

(٦) ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، ج ١، ٢٥٧، ويذكر ابن خلدون، أن اسمه أبوحوارثة بن بكر بن وائل، انظر: ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، ج ٢، ٤٤٧.

(٧) ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، ج ١، ٧٦.

(٨) ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، ج ١، ٢٥٧؛ ويذكر ابن خلدون، أن اسمه أيضاً الأيهم، والسيد معا، انظر: ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، ج ٢، ٤٤٧.

(٩) ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، ٢٥٧؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، ج ٢، ٤٧٧؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، ج ١، ٢٧٦.

(١٠) وهم في طريقهم مع بقية الوفد متجهين إلى الحجاز لمقابلة الرسول ﷺ، انظر: ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، ج ١، ١٦٥.

(١١) يقصد الروم، انظر: ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، ج ١، ٢٧٦.

به^(١) ومضى يضرب راحلته ويقول:

إِلَيْكَ يَغْدُو قَلْبًا وَضِيْنَهَا مُعْتَرِضًا فِي بَطْنِهَا جَنِينَهَا
مُخَالَفًا دِينَ النَّصَارَى دِينَهَا^(٢)

ويتضح لنا من النص السابق أن أهل العلم من نصارى نجران يعلمون صحة ما ورد في كتبهم حول صدق نبوة الرسول محمد ﷺ، ورغم ذلك لا يستطيعون الدخول في دين الإسلام، وذلك لما لهم من صلات سياسية، وعقدية واقتصادية مع امبراطورية الروم التي نشرت المسيحية في بلاد اليمن عامة، وفي بلاد نجران خاصة، وبالتالي فإنهم جعلوا نصارى نجران مسؤولين عن الدفاع عن النصرانية في بلادهم وما حولها، ومقابل ذلك فإنهم كانوا يغدقون عليهم العطايا والمنح المتنوعة من أجل الحصول على ولائهم، والبقاء تابعين لهم سياسيا وعقديا، وذلك يتضح في عبارة أبي الحارث، عندما قال عن الروم: "شرفنا هؤلاء القوم، وأكرمونا، وقد أبوا إلا خلافه"^(٣).

وهذا كرز بن علقمة، نراه يطلع على ضلال أخيه، أبي الحارث، ومخالفته الفطرة السليمة، فيتركه ويسبقه ووفده إلى الرسول ﷺ فيدخل الإسلام، وربما اكتشف بعض أعضاء الوفد وغيرهم من نصارى نجران تلك الحقيقة التي كان يعرفها أبو الحارث بن علقمة، ما جعلهم يتركون دين النصرانية ويدخلون في دين الإسلام، وأكبر دليل على ذلك ما فعله العاقب والسيد اللذان دخلا الإسلام بعد مقابلهما الرسول ﷺ في المدينة المنورة.

وصل وفد نصارى نجران إلى المدينة بعد صلاة العصر والرسول ﷺ في المسجد، وكان عليهم ثياب الحبرة^(٤)، وأردية مكشوفة بالحريز، وفي أعناقهم وأيديهم الصليب، ثم أقاموا في المسجد يصلون نحو المشرق، فعزم بعض أصحاب رسول الله ﷺ على منعهم، فقال الرسول ﷺ: دعوهم^(٥). ويذكر ابن سعد أنهم جاؤوا إلى الرسول ﷺ بهيئتهم الآنفة الذكر فأعرض عنهم ولم يكلمهم، فقال لهم عثمان بن عفان: "ذلك من أجل زيكم هذا" فانصرفوا ذلك اليوم، وجاؤوا اليوم الثاني وعليهم زي الرهبان^(٦).

وكانوا قد اتصلوا ببيت المدارس لليهود، والتقوا ببعض زعمائهم، مثل: الكاهن

(١) انظر: ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، ج ١، ١٦٤، ١٦٥؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، ج ١، ٧٦.

(٢) ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، ج ١، ١٦٥.

(٣) المرجع السابق. وللمزيد عن علاقة نصارى نجران بالروم، انظر: عبدالمجيد عابدين، بين الحبشة والعرب، (القاهرة: دار الفكر، د. ت)، ٤٩، علي، جواد. المفصل، مرجع سابق، ج ٢، ٤٤٩ وما بعدها.

(٤) الحبرة: يقال: إنها ضرب من برد اليمن منمر الشكل، وهي نوع من الألبسة الجيدة والغالية الثمن، ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل. لسان العرب، مرجع سابق، ج ٢، ١٦، ١٧.

(٥) البيهقي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ يعقوبي، مرجع سابق، ج ٢، ٨٢؛ ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، ج ١، ٣٥٧.

(٦) المرجع السابق، ٣٥٧، ٣٥٨.

اليهودي، المسمى ابن صوريا، وكعب بن الأشرف وقالوا لهم: هذا الرجل - يقصدون الرسول ﷺ - عندكم منذ كذا وكذا قد غلبكم، احضروا امتحانا له غدا. معتقدين أن ائتلافهم مع اليهود قد يجعلهم أصحاب الريادة والتفوق عندما يغلبون الرسول ﷺ.

وعند مقابلتهم الرسول ﷺ دارت بينهم مناقشات عديدة حول السيد المسيح عيسى بن مريم ﷺ، وحول الإسلام، ثم دعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام، فقال السيد والعاقب: "إنا قد أسلمنا قبلك، فقال: كذبتما، يمنعكما من الإسلام ثلاث، أكلكما الخنزير، وعبادتكما الصليب، وقولكما لله ولد، قالا فمن أبو عيسى، وكان الرسول ﷺ لا يعجل حتى يأمره ربه" (١)، ثم قال: هو عبد الله ورسوله، فقال أسقفهم أبو الحارث: "تعالى الله عما قلت، وهل رأيت ولدا من غير ذكر" (٢). ويورد ابن كثير بعض التفاصيل عن هذا اللقاء، ويشير إلى أن الرسول ﷺ صمت ولم يجبههم عندما سألوه من هو أبو عيسى، ويستطرد ابن كثير قائلا: "فأنزل الله في قولهم ذلك واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها... " (٣) حيث رد الله عز وجل سؤالهم للرسول ﷺ بقوله تعالى: (ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ. إِنْ مِثْلَ عَيْسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (٤). إلى قوله تعالى: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (٥)، ويذكر ابن كثير في تفسير هذه الآيات، أنه لما أتى رسول الله ﷺ الخبر من الله والفصل بينه وبينهم، وأمر بما أمر به من المباهلة (٦)، وملاعنتهم، قالوا للرسول ﷺ: "يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفضل فيما دعوتنا إليه، ثم انصرفوا عنه" (٧).

وتذكر بعض المصادر التاريخية أن اليهود في المدينة كانوا يراقبون تلك المناقشات التي دارت مع الرسول ﷺ، ويشاهدونها عندما طلب نصارى نجران من الرسول ﷺ

- (١) أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ٧٥، وللمزيد، انظر: ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، ج ١، ٣٥٧. كما أن هناك بعض الاختلافات البسيطة في ذكر الرواية، اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، ج ٢، ٨٢؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، ج ١، ٢٧٦، ٢٧٧.
- (٢) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، ج ٢، ٨٢؛ محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، تفسير الكشاف، تحقيق: محمد مرسي عامر، (القاهرة: دار المصنف، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م)، ج ١، ١٧٧، ١٧٨.
- (٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، ج ١، ٢٧٦.
- (٤) سورة آل عمران، الآية: ٥٨، ٥٩.
- (٥) سورة آل عمران، الآية: ٦١. انظر: الزمخشري، محمود بن عمر. تفسير الكشاف، مرجع سابق، ج ١، ١٧٨.
- (٦) المباهلة - جاءت من فعل (بهل) والبهل هو اللعن، يقال بهله الله بهلاً أي لعنه، وعليه بهلة الله أي لعنته، ويذكر في حديث أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال: من ولي من أمور الناس شيئاً فلم يعطهم كتاب الله، فعليه بهلة الله؛ أي لعنته. والمباهلة هي الملاعنة، ومعنى المباهلة أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا. انظر: ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل. لسان العرب، مرجع سابق، ج ١، ٥٢٢.
- (٧) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، ج ١، ٢٧٧-٢٧٨؛ ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل. لسان العرب، مرجع سابق، ج ١، ١٧٨.

بعض الوقت ليفكروا في قبول المباهلة أو تركها، بل كانوا فرحين بما وصل إليه الأمر، ويودون هلاك الطائفتين، وفي ذلك يقولون: "والله ما نبالي أيهما أهلك الله: الحنيفية أو النصرانية". ومن هذا يتضح خبث اليهود ومكرهم لذاتهم، فلا يرغبون الحياة والعزة إلا لهم دون سواهم^(١).

وبعد ذهاب نصاري نجران من عند رسول الله ﷺ اجتمعوا بالعاقب، وكان صاحب رأي قاطع بينهم فقالوا: "يا عبدالمسيح، ماذا ترى؟ فقال: والله يا معشر النصاري، لقد عرفتم أن محمداً النبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم - يقصد عيسى عليه السلام - ولقد علمتم أنه ما لأعن نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم أبيتم إلا ألف دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فواعدوا الرجل، وانصرفوا إلى بلادكم"^(٢).

ويورد اليعقوبي أن وفد نجران قبلوا المباهلة مع الرسول ﷺ، ولما جاء اليوم الثاني، جاء رسول الله ﷺ أخذاً بيد سبطيه الحسن والحسين، تتبعه فاطمة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وجاء العاقب والسيد بابنين لهما عليهما الدر والحلي، وقد التقوا بأبي الحارث، فقال أبو الحارث: "من هؤلاء معه؟ قالوا: هذا ابن عمه، وهذه ابنته، وهذان ابناه، فجثا رسول الله ﷺ على ركبتيه، ثم ركع، فقال أبو الحارث: جثا والله كما يجثو النبيون للمباهلة، فقال له السيد: ادين يا أبا حارثة للمباهلة، فقال إني أرى رجلاً حرياً على المباهلة وإني أخاف أن يكون صادقاً، فإن كان صادقاً لم يحل الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الطعام"^(٣).

ولهذا تراجعوا عن مباهلة الرسول ﷺ وقال أسقفهم أبو الحارث للرسول ﷺ: "لا نباهلك فأنت على دينك ونحن على ديننا"، فقال رسول الله ﷺ إذا أبيتم المباهلة، فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين، وعليكم ما عليهم، فرفضوا، فقال الرسول ﷺ إذا أحاربكم، فقالوا: "نصالحك على ألا تغزونا، ولا تخيفنا، ولا تردنا عن ديننا، على أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة"^(٤)، ألف في صفر وألف في رجب. فقبل رسول الله ﷺ منهم، وصالحهم على ذلك وكتب لهم كتاباً أوضح فيه شروط هذا الصلح، وقد أشارت

(١) والنصاري أقرب في مودتهم للمسلمين من اليهود والمشركين، قال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ الْبِئْسَاءِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بَأْسٌ مِنْهُمْ قَسِيصٌ وَرَهْبَانُهُمْ أَنَّهُمْ لَا يُسْتَكْبَرُونَ﴾. سورة المائدة، آية: ٨٢.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، ج ١، ٢٧٦-٢٧٧.

(٣) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، ج ٢، ٨٢-٨٣. ويورد الزمخشري أن أبا الحارث، عندما رأى الرسول ﷺ يوم خرج للمباهلة قال: (يا معشر النصاري إني لأرى وجوها لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة)، انظر: الزمخشري، محمود بن عمر. تفسير الكشاف، مرجع سابق، ج ١، ١٧٨. ويذكر البلاذري أنه قال: (أحدهما لصاحبه. يقصد نصاري نجران. اصعد الجبل ولا تباهله، فإنك إن باهلته يؤت باللعنة، قال: فما ترى؟ قال: أرى أن نعطيه الخراج ولا نباهله؛ البلاذري، فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٥-٧٦؛ ابن الأثير، علي بن أبي الكرم. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ج ٢، ٢٠٠.

(٤) الحلة تساوي الأوقية، ووزن الأوقية أربعون درهماً من الفضة. البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٦.

مصادر التاريخ إلى هذا الصلح، فبعضهم نقله نصاً بما يعتقد أنه ورد عن رسول الله ﷺ، ومن هؤلاء اليعقوبي، والبلاذري، وابن سعد^(١)، فيما نقله آخرون من المصادر دون التزام منهم بنقل نص هذا الصلح. وإنما اكتفى بنقل ما ورد في هذا الصلح من الشروط، ومن هؤلاء ابن الأثير، وابن خلدون^(٢).

ففي هذا الصلح أقر رسول الله ﷺ ما اتفق عليه نصارى نجران بدءاً من دفعهم الحلل في شهري رجب وصفر من كل عام، وهي ألفا حلة، قيمة كل حلة (٤٠) درهماً من الفضة، وأن يساعدوا المسلمين إذا ما وقعت حرب باليمن، بأن يمدوهم بالأسلحة فقط دون الاشتراك معهم في الحرب، وأن ينصحوا المسلمين، ولا يؤخذ أحد بخيانة غيره. وحرم عليهم التعامل بالربا، فمن عمل به بعد هذا الاتفاق، فقد نقض الصلح، فتكون ذمة محمد ﷺ منه بريئة^(٣).

لقد ارتد البعض من أهل نجران عن الإسلام في عهد رسول الله ﷺ واتبعوا الأسود العنسي، الذي ثار في اليمن وادعى النبوة، فقد كان مشعوذاً بارعاً في الكلام^(٤)، فانخدعت به بعض قبائل اليمن ونجران، وكانت بداية ظهوره وادعائه النبوة في السنة الحادية عشرة من الهجرة، بعد حجة الوداع لما علم بمرض رسول الله ﷺ، وهو في طريقه إلى المدينة^(٥)، وقد تعاطف أهل نجران معه وأيدوه، فلما علم بنو الحارث بن كعب وقبائل مذحج دعوته إلى بلادهم، فقدم إليهم على رأس قوة عسكرية بلغ عددها خمسة آلاف مقاتل جميعهم من قبائل حمير^(٦)، وتمكن من دخول نجران، وكان عمرو بن حزم عاملاً عليها من قبل رسول الله ﷺ فخرج منها متوجهاً إلى المدينة^(٧).

وقد مكث الأسود العنسي أياماً بنجران ثم تحول عنها إلى صنعاء، لأنها أكثر حصانة من نجران، ورحل معه ستمائة فارس من بني الحارث بن كعب مؤيدين إياه ومناصرين،

(١) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، ج٢، ٨٢؛ البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٦، ابن سعد، محمد بن سعد. الطبقات، مرجع سابق، ج١، ٢٥٨. للمزيد من التفاصيل، انظر: حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ١٧٥ - ١٧٩.

(٢) ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، ج٢، ٢٠٠؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، ج٢، ٤٧٧.

(٣) انظر: البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٦؛ ابن سعد، محمد. الطبقات، مرجع سابق، ج١، ٢٥٨؛ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، ج٢، ٨٢.

(٤) انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، ج٢، ١٨٥، ٢٢؛ مطهر بن طاهر المقدسي، كتاب البدء والتاريخ، تحقيق: س. هورت (باريس: ١٩١٦م)، و(صور مكتبة المتنبي، بغداد، د.ت)، ج٥، ١٥٤؛ ابن الأثير، علي. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ج٢، ٢١٥.

(٥) البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ١١٢؛ نزار عبداللطيف الحديثي، أهل اليمن في صدر الإسلام، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ت)، ١١٥.

(٦) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، ج٢، ٢٣٠ - ٢٣٥، محمد عبدالمنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٥م)، ٥٧٤.

(٧) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، ج٢، ١٨٥ - ١٨٧؛ ابن الأثير، علي. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ج٢، ٢١٥؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، مرجع سابق، مج ٢، ج٦، ٢١٢.

وقد واجه مقاومة عنيفة من الأبناء وهم المسلمون من الفرس^(١)، ومن قبائل اليمن التي تمسكت بإسلامها فكذبوا مزاعمه، وقد قاد هذه المقاومة شهر بن باذان، ابن والي اليمن السابق، ولكن الأسود العنسي كان أقوى منه فقتل عليه، واستولى على صنعاء^(٢).

كما استفحل أمر الأسود باليمن واتسع نفوذه فشمل نجران والطائف وصنعاء وحضرموت، وعدن وامتد نحو الشرق حتى شمل البحرين وأجزاء أخرى من الخليج العربي، وقد اضطربت أوضاع المسلمين باليمن وأصابهم الخوف الشديد من بطش الأسود العنسي، فكانوا يتعاملون معه من منطلق مبدأ التقية ليأمنوا على أرواحهم^(٣)، فكانت حركة الأسود العنسي خطراً جسيماً على الإسلام والمسلمين باليمن، لأنها حدثت في فترة حرجة من تاريخ الدولة الإسلامية، فرسول الله ﷺ قائد الأمة ورئيس الدولة كان على فراش المرض، فضلاً عن الأوضاع المضطربة داخل اليمن، فهناك من لم يدخل الإسلام أو دخله ثم ارتد، وهناك من ظل على إسلامه، وهؤلاء يشكلون العدد القليل إلى جانب أهل الذمة. في ظل هذه الظروف السيئة التي تمر بها الأمة الإسلامية قامت حركة الأسود العنسي، إلا أن هذه الحركة لم يكتب لها النجاح، والحديث عنها سوف يبعدنا عن دائرة البحث، ولكن أشرنا إليها بقدر ما كان لها من صلة بمدينة نجران^(٤).

وقد تصدى رسول الله ﷺ بحزم وقوة لهذه الحركة، ثم وجه نداءً إلى المسلمين المحاصرين بنجران وإلى قادة المسلمين في اليمن يحثهم على الصبر وتوحيد الصفوف ليمكنوا من قهر عدوهم، والطبري ينقل لنا نص هذه الرسالة: "إلى أهل نجران، إلى عربهم وساكن الأرض من غير العرب، فاثبتوا وانضموا إلى مكان واحد"^(٥). ويعني بساكن الأرض من غير العرب المسلمين من غير العرب، وهم الفرس وقد عرفوا بالأبناء^(٦).

وكان لهذه الرسالة التي وصلت إليهم من رسول الله ﷺ التأثير البالغ على نفوسهم، إذ أعادت إليهم الثقة والطمأنينة، كما أزلت الخوف والرعب من قلوبهم فتحركوا موحيدي الهدف ضد الأسود العنسي، فتمكنوا من دحره والقضاء على حركته.

(١) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، ج٢، ١٨٥؛ سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي، تاريخ الردة، جزء مقتبس من كتاب: الاكتفاء بما تضمنته من مغازي الخلفاء، اقتبسه وحققه: خورشيد فاروق أحمد (الهند: معهد الدراسات الإسلامية، د.ت)، (١٥١، ١٥٢).

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، ١١٢؛ المقدسي، مطهر بن طاهر. كتاب البدء والتاريخ، مرجع سابق، ج٥، ٢٢٩؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، البداية، مرجع سابق، مج ٢، ج٦، ٢١١، ٢١٢.

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، ج٢، ٢٢٠؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج ٢، ج٦، ٢١٢.

(٤) للمزيد انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، ج٢، ٢٢٠، ٢٢١؛ ابن خلدون، عبد الرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، ج٢، ٤٨٢.

(٥) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، ج٢، ٢٢٢.

(٦) الأبناء: من أبناء فارس دخلوا اليمن مع سيف بن ذي يزن الحميري، وأطلق عليهم هذا الاسم. فيما بعد لأنهم استقروا باليمن وتزوجوا، ثم صار أبناء أبنائهم يطلق عليهم الأبناء، لأنهم من أبناء أولئك الفرس، ولأن أمهاتهم من أجناس غير فارسية، وعندما جاء الإسلام أسلموا وحسن إسلامهم، انظر: ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل. لسان العرب، مرجع سابق، ج١، ٥٠٨، فعل (بني).

ثالثاً - نجران في العهد الراشدي؛

لم يقص على الردة في نجران بموت الأسود العنسي، وإنما استمرت بعد وفاة الرسول ﷺ، وخلال عهد الخليفة الراشد، أبي بكر الصديق ﷺ ١١-١٣هـ (٦٣٢-٦٣٤م) وذلك أن بعض بني الحارث بن كعب في نجران انضموا إلى الأسود العنسي، وبعد مقتله، ومجيء عهد أبي بكر الصديق ظلوا على ردتهم، وهم مترددون في البقاء على الردة، أو العودة إلى الإسلام. وبينما هم على هذه الحال جاءهم مسروق العكي^(١)، مع بعض من بقي على إسلامه من أهل اليمن، وكان عازماً على مقاتلتهم في حال رفضهم العودة للإسلام وبدأ أولاً بدعوتهم سلماً لترك الارتداد والعودة للإسلام، فاستجابوا وأسلموا دون قتال، فأقام فيهم يعمل على استتباب الأمور في بلادهم، حتى وصل إليه جيش الخليفة أبي بكر الصديق تحت قيادة المهاجر بن أبي أمية دعماً له في قتال المرتدين^(٢).

وكان الرسول ﷺ قد أرسل قبل وفاته عدداً من مبعوثيه إلى بلاد السراة، وغيرها من نواحي بلاد اليمن، خصوصاً عندما سمع بظهور الأسود العنسي، ولكن عجلت الأنباء التي وصلتهم بانتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى بعودة بعضهم إلى الحجاز، وكان جرير بن عبد الله البجلي من بعض الذين عادوا إلى المدينة المنورة، فرده الخليفة أبو بكر الصديق وأمره أن يدعو من قومه، من بني بجيلة، ومن ثبت على دين الله ولم يرتد، ثم يذهب بهم إلى أجزاء عديدة من بلاد السروات، جنوب الطائف، فيقاتل من ارتد عن الإسلام، ثم يواصل سيره حتى يصل نجران فيقيم بها حتى يأتيه أمره. ويؤكد الطبري ذلك بقوله: فخرج جرير فتفد ما أمره به أبو بكر، فلم يقر له أحد إلا رجال عدة قليلة، فقتلهم وتبعهم، ثم كان وجهه إلى نجران، فأقام بها انتظارا لأمر أبي بكر رحمه الله^(٣).

ومن هنا يتضح لنا أن أبا بكر الصديق ﷺ أراد من جرير البجلي أن يعود إلى بلاد السروات فيحث من بقي على إسلامه على التمسك بشرع الله، ويقاوم معه من خرج عن ملة الإسلام، ويظهر من نص الطبري أنه لم يقابل أعداداً كثيرة من المرتدين في البلاد الواقعة بين الطائف ونجران، وبالتالي فقد واصل طريقه مسرعاً حتى وصل نجران فوجد من بها من المرتدين قد رجعوا إلى الإسلام على يد مسروق العكي^(٤).

(١) الكلاعي، سليمان. تاريخ الردة، مرجع سابق، ١٥٣ وما بعدها، وقد ذكره باسم (الأصفر العكي)، بينما أسمته كتب الطبقات مسروق العكي، ولم تذكر (الأصفر)، ولعل الاسمين لشخصية واحدة، وللمزيد عن جهود مسروق العكي ضد المرتدين في عدة مواطن من بلاد اليمن راجع: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، ج٢، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٨، ٢٢٦.

(٢) وللمزيد عن تصدي الخليفة أبي بكر الصديق للردة وعن الجيوش التي أرسلها إلى كل مكان لمحاربة المرتدين، انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، ج٢، ٢٢٢ وما بعدها؛ ابن خلدون، عبد الرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، ج٢، ٤٩٢، ٤٩٣؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مع ٢، ج٦، ٢١٥، ٢٢٦.

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، ج٢، ٢٢٢؛ ابن الأثير، علي. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ج٢، ٢٢٩ وما بعدها؛ ابن خلدون، عبد الرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، ج٢، ٤٩٣؛ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق: علي محمد البجاوي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، ج١٩، ١٤٤.

(٤) الكلاعي، سليمان. تاريخ الردة، مرجع سابق، ١٥٦، الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، ج٢، ٢٢٢؛ ابن خلدون، عبد الرحمن. تاريخ ابن خلدون. مرجع سابق، ج٢، ص ٤٩٣؛ النويري، شهاب الدين. نهاية الأرب، مرجع سابق، ج١٩، ١٤٤.

أما المرتدون في بلاد اليمن، وبخاصة في صنعاء وما حولها وكذلك الأجزاء التهامية من بلاد اليمن، فقد ظلوا يعيثون في الأرض فساداً، بينما استقرت أمور الإسلام في بلاد السراة الممتدة من الطائف حتى نجران لقلة عدد المرتدين وتمسك معظم مسلمي نجران بعقيدتهم، وإصرارهم على محاربة المرتدين، نستدل على ذلك بما ورد في بعض المصادر من إشارات إلى كتاب أرسله أحد زعماء نجران يدعى عبد الله بن عبد المدان إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه يطالبه فيه بأن يأذن له فيسير في أهل نجران إلى صنعاء ومن حولها لمحاربة المرتدين هناك^(١). بل نجد كتاباً آخر يرسله أبوبكر الصديق إلى المرتدين من أهل صنعاء، فيذكرهم بدعوة الرسول صلوات الله عليه ثم دخولهم في الإسلام وبقائهم عليه إلى أن جاءهم خبر وفاة الرسول صلوات الله عليه فارتدوا عن دين الله، ثم قال في نهاية كتابه: "وقد منعتني أن أسلط عليكم ابن عبد المدان فيمن قبله انتظار ما الله محدث مما لست بأيس منه، فإن ترجعوا الإسلام ترجعوا ديناً طالما نفعكم الله تعالى به، وإن تابوا فإن الله تعالى حزبا منصوراً، وجندا غالباً يقطع دابر القوم الذين ظلموا"^(٢). ويفهم من هذا الكتاب حزم الخليفة الراشد الأول تجاه المرتدين ومخاطبتهم بصيغة الإنذار وإعطاء فرصة أخيرة للمرتدين من أهل صنعاء للدخول ثانية في الإسلام ويعاود إندازهم في حالة عدم استجابتهم فإنه سوف يحاربهم بعباد الله الصالحين مثل المسلمين من أهل نجران وما حولهم بزعامة ابن عبد المدان.

وقد وضع بجلاء هذا العزم من قبل الصديق في التصدي لحركة الردة في جميع أجزاء شبه الجزيرة العربية، فجهز عدداً من الجيوش التي اتجهت إلى نواح عديدة من البلاد، وكان أحدها بقيادة المهاجر بن أبي أمية، وقد أرسله لمحاربة المرتدين في الطائف وبلاد السراة ونجران وصنعاء^(٣). ويشير ابن خلدون إلى حملة المهاجر إلى صنعاء فيذكر أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أمره "بأن يسير إلى اليمن ليصلح من أمره، ثم ينفذ إلى عمله، وأمره بقتال ما بين نجران وأقصى اليمن ففعل ذلك، وسار المهاجر حتى نزل صنعاء وتتبع شذاذ القبائل فقتل من قدر عليه، وقبل توبة من رجع إليه، وكتب إلى أبي بكر بدخول صنعاء، فجاءه الجواب بأن يسير إلى كندة..."^(٤).

(١) انظر: حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ٢٤١، ٢٤٢، وكان لعبد الله بن المدان موقف مشرف في قومه عندما ارتدوا مع الأسود العنسي، إذ وقف فيهم ينهاهم عن الردة ويحذرهم عاقبة أمرهم؛ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت) (مصور من النسخة الأصلية المطبوعة عام ١٨٥٢م في بلدة كلكتا بالهند)، مج ٢، ج ٤، ٩٨.

(٢) حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ٢٤٢، وللمزيد عن حركة الردة في صنعاء وما حولها والجهود العسكرية التي بذلها المسلمون في حرب المرتدين وإعادة البلاد إلى حظيرة الإسلام، انظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، مرجع سابق، ١١٢، ١١٤؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، ج ٢، ٢٢٥ وما بعدها؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج ٢، ج ٦، ٢٢٥، ٢٢٦؛ ابن خلدون، عبد الرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، ج ٢، ٤٩٢ وما بعدها.

(٣) للمزيد عن إرسال الخليفة أبي بكر الصديق الكتب والجيوش المنظمة إلى القبائل والنواحي المرتدة عن الإسلام، انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، ج ٢، ٢٤٩، وما بعدها؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، البداية، مرجع سابق، مج ٢، ج ٦، ٣١٩، ٢٢٠ وما بعدها؛ ابن خلدون، عبد الرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، ج ٢، ٤٩٤ وما بعدها.

(٤) المرجع السابق، ج ٢، ٤٩٤.

يفهم من هذا القول: إن المهاجر خرج من الطائف حتى وصل نجران، ولم يقابل أي عناء في هذه المنطقة الواسعة التي يصل طولها -تقريباً- إلى ثمانمئة كيل، ثم يؤكد عليه فيحارب المرتدين الذين كانوا بين نجران وصنعاء، وفي اعتقادنا أنهم ليسوا كثيرين؛ لأن من بقي من المسلمين هناك مع بعض قادة المسلمين في تلك النواحي أمثال: جرير بن عبد الله، ومسروق العكي وغيرهما، استطاعوا تذليل الصعاب والقضاء على المرتدين^(١)، ويعد مجيء المهاجر بن أبي أمية ومن معه من المسلمين بمثابة توطيد لأوضاع الدولة الإسلامية في هذه البقاع وتأمينها، وبخاصة في بلاد صنعاء وما حولها، ولو أن الوضع لا يزال خطراً هناك، لما كان الخليفة الصديق أمر المهاجر بالتوجه إلى بلاد كندة حيث لا يزال المرتدون بها يشكلون خطراً وتهديداً على الإسلام والمسلمين هناك^(٢).

ومع نهاية عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبداية عهد الخليفة عمر بن الخطاب ١٢-٢٣هـ (٦٢٤-٦٤٣م) استقر الإسلام ديناً ودولة في بلاد نجران وجميع البلاد الممتدة من الطائف ومكة المكرمة شمالاً حتى بلاد نجران وصعدة وصنعاء جنوباً، بالإضافة إلى الأجزاء التهامية المنخفضة غرباً عن تلك المواطن السروية الجبلية^(٣)، وتقاطر سكان تلك البلاد على المدينة المنورة رغبة في الجهاد في سبيل الله، وإعلاء كلمة التوحيد، وذلك عندما نادى فيهم الخليفة أبوبكر الصديق، ثم تلاه الخليفة عمر بن الخطاب، فانخرطوا في جيوش المسلمين التي خرجت في الفتوحات الإسلامية إلى بلاد فارس والعراق، وإلى بلاد الشام ومصر والمغرب والأندلس^(٤)، وقد تناثرت الأخبار في المصادر الإسلامية المبكرة على اختلافها مشيرة إلى الدور الفاعل الذي لعبه سكان البلاد الواقعة إلى جنوب حواضر الحجاز (مكة والطائف) والممتدة إلى حواضر اليمن الكبرى بما فيها نجران وأعمالها في الحياتين العامة والخاصة في المشرق والمغرب في العصر الإسلامي، ولم يقتصر دورهم

(١) انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، ج ٣، ٢٢٨-٢٣٠؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، البداية، مرجع سابق، مج ٢، ج ٦، ٢٣٥، ٢٣٦. ويذكر ابن سمرة الجعدي، والكلاعي أن المهاجر خرج حتى وصل نجران، فوجد كلا من جرير بن عبد الله ومسروق العكي فضمهما ومن معهما من المسلمين إلى جيشه، ثم قسم جيشه في نجران إلى قسمين؛ فرقة تتولى القضاء على فلول الأسود العنسي المتناثرة بين نجران وصنعاء، وكان المهاجر نفسه على هذه الفرقة، أما الفرقة الأخرى فكان على رأسها أخوه عبد الله بن أبي أمية، وكانت مهمتها تطهير منطقة نجران وتهامية اليمن من المرتدين، وقد نجحوا في ذلك، انظر: الجعدي، عمر بن علي، طبقات فقهاء اليمن، مرجع سابق، ج ٣٥؛ الكلاعي، سليمان. تاريخ الردة، مرجع سابق، ١٥٦، ١٥٧.

(٢) للمزيد عن الردة في بلاد كندة، انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، ج ٢، ٢٣٠، ٢٤٢؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج ٢، ج ٦، ٢٢٤، ٢٣٦؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، ج ٢، ٥٠٦، ٥٠٧.

(٣) عن التحديد الجغرافي لهذه المناطق وما ذكر عنها انظر: عبد الله بن عبدالعزيز البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، مج ١، ج ١، ٩-١٠؛ الحموي، ياقوت، معجم البلدان، مرجع سابق، ج ٢، ٦٣، ٢٠٢، ٦٤-٢١٨؛ الحديثي، نزار. أهل اليمن في صدر الإسلام، مرجع سابق، ٩٩-١٤١.

(٤) ابن حزم علي، جمهرة أنساب العرب، ٢٩٤، ٤٤٦، ٤٤٧؛ الحديثي، نزار. أهل اليمن في صدر الإسلام، مرجع سابق، ١٤٥، ٢٠٦. غيثان بن علي بن جريس، دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيلة (ق ١٠هـ/ق ٧-١٦م)، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج ١، ص ٥٧-٩١.

على الجهاد العسكري فحسب، بل تعدى هذا المجال، فتجد أن كثيراً منهم شارك في البناء السياسي والإداري والعمراني للدولة الإسلامية علاوة على إسهاماتهم المؤثرة في بقية الجوانب الحضارية الأخرى، كالنواحي العلمية والفكرية والحياة الاقتصادية على اختلافها وشتى المظاهر الاجتماعية الأخرى، ومن يتتبع آثارهم وإسهاماتهم في هذه الجوانب فإنه سيجد مادة علمية ثرية لا يكفيها عدد من الأسفار لجمع هذا الجانب الحضاري الخاص بهم^(١).

أما الأوضاع المحلية في بلاد نجران وما حولها، فلأسف الشديد، لم تفصح المصادر أو تمدنا بتفصيلات مهمة عن تلك الأوضاع وبخاصة بعد خلافة أبي بكر الصديق، ولكن يمكننا أن نستنتج من سير الأحداث أن الأوضاع الداخلية لبلاد نجران قد استقرت سواء كان ذلك مدنياً أو دينياً خصوصاً بعد وصول المهاجر بن أبي أمية، والتقاءه بأهل نجران ومن كان فيها من الصحابة، وجهوده في توطيد الأمن هناك، تلك الجهود التي على إثرها ترك جرير بن عبد الله البجلي واليا على نجران، وذهب في طريقه إلى كندة لإكمال مهمته في القضاء على المرتدين تنفيذاً لأوامر الخليفة الصديق. ثم جاء عهد الخليفة عمر بن الخطاب، فكان أكثر استقراراً بفضل ما عرف عن هذا الخليفة الراشد من حزم في إدارة البلاد الإسلامية، فقد أرسل عماله في أنحاء الدولة الإسلامية، ومن عماله في نجران، يعلى بن أمية الذي كان والياً على أجزاء من اليمن منذ عهد الرسول ﷺ ثم عهدي أبي بكر وعمر، فكان مسؤولاً عن بلاد نجران وما جاورها من بلاد همدان ومأرب والجند، وقد استدعاه عمر بن الخطاب أكثر من مرة لكي يقدم تقاريره الإدارية عن سير أحوال البلاد التي يتولاها واستجوبه في بعض الأمور لأخبار بلغته عنه^(٢)، ثم أعاده عاملاً على نجران وغيرها من النواحي فظل هناك حتى عهد الخليفة علي بن أبي طالب^(٣).

أما عن الدور الذي لعبته نجران في بقية الأحداث السياسية التي أمت بالدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، وبخاصة خلال الفتنة الكبرى في عهد الخليفة عثمان ابن عفان رضي الله عنه ٢٣ - ٣٥ هـ (٦٤٣ - ٦٥٥ م) والصراع بين الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٣٥ - ٤٠ هـ (٦٥٥ - ٦٦٠ م) وبين معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه فإننا نجد أن سكان نجران، أسوة بغيرهم من سكان شبه الجزيرة العربية، قد انخرطوا - على وجه التأكيد - في هذه الفتن، ومنهم من انضم إلى الخليفين الراشدين عثمان وعلي، ومنهم من كان

(١) الحديثي، نزار. أهل اليمن، مرجع سابق، ١٥٠، ٢٠٢؛ عبد الله بن عبد الكريم الجرافي، المقتطف من تاريخ اليمن. ط ٢، (بيروت: منشورات العصر الحديث، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م)، ٨٨، ٨٩؛ أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين، (القاهرة: ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م)، ١٧١، ١٧٧.

(٢) من الشكاوى التي قدمت في يعلى بن أمية أنه حمى لنفسه في نجران، فعزله من منصبه ثم أعاده بعد مسأله، انظر: ابن حجر، شهاب الدين. الإصابة، مرجع سابق، مج ٣، ج ٦، ٣٥٢.

(٣) المرجع السابق؛ وللمزيد انظر: الهادي يحيى الحسين، غاية الأمان في أخبار القطر اليماني، تحقيق: سعيد عبدالفتاح عاشور، (القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م)، ج ١، ٩٢، ٩٤؛ شرف الدين، أحمد حسين. تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن، مرجع سابق، ٢١، ٢٢.

ضد ههما، ونال سكان بلاد السراة الممتدة من الطائف حتى صنعاء، ما نال غيرهم من هذه الفتنة، وبخاصة الذين توزعوا منهم في الأمصار الإسلامية من مصر إلى الشام إلى بلاد العراق وفارس، والمصادر التاريخية تعج بالكثير من الأخبار التي تؤكد انخراط سكان هذه المناطق في خضم الأحداث السياسية التي عاشتها الأمة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم (١).

أما عن تفاصيل هذا الدور الذي لعبته نجران وما يجاورها فلا ريب أنها قد تأثرت كغيرها من بلاد شبه الجزيرة العربية بالفتن التي وقعت زمن الخليفة عثمان بن عفان، وأدت إلى استشهاده رضي الله عنه، ثم الصراعات التي وقعت بين الخليفة علي بن أبي طالب ومعاوية ابن أبي سفيان حيث تشير المصادر التاريخية المبكرة التي عالجت أحداث هذه الفترة إلى انتشار هذه الفتن حتى وصل خبرها بل تأثيرها، إلى كل صقع من أصقاع المسلمين آنذاك، ولكنها رغم ذلك لا تخصص الحديث عن دور أهل نجران فيها أو توضح بشكل مفصل مدى تأثيرها على تلك الأنحاء، بل نلاحظ أنها لا تكاد تذكر في بطون هذه المصادر لانشغال مصنفها بما يجري في الحواضر العربية الكبرى محل هذه الصراعات (المدينة المنورة - دمشق - الكوفة) ولا يتواتر ذكر نجران ثانية ودورها السياسي في أحداث الدولة الإسلامية إلا سنة أربعين من الهجرة حينما وجه معاوية بن أبي سفيان بسر ابن أبي أرتاة العامري في ثلاثة آلاف رجل لاجتياح الحجاز في طريقه إلى نجران وبلاد الجند وصنعاء وما حولها. وقد أوضحت المصادر حينئذ سبب بعث بسر إلى تلك النواحي، وهو أن معاوية أثناء وجوده بالشام في خلافة علي بن أبي طالب تلقى خطابا من بعض أهل صنعاء ونجران والجند وقد أظهروا له الموافقة على مطالبته بقتل عثمان بن عفان، لأنهم استكروا قتل أمير المؤمنين (٢).

وكان غالبية أهل نجران وما حولها من بلاد اليمن قد أعلنوا ولاءهم للخليفة علي ابن أبي طالب الذي أرسل إليهم في عام ٣٥ هـ (٦٥٥ م) عبيد الله بن عباس ليكون واليا عاما على بلاد اليمن بما فيها بلاد نجران وأعمالها (٣)، بينما خالفته فئة قليلة وأرسلت إلى معاوية وأعلنت له الولاء والبراء من علي بن أبي طالب، وعندما عرف والي اليمن

(١) لمزيد من التفاصيل عن تلك الأحداث انظر: القاضي أبوبكر محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محب الدين الخطيب، (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٩٦ هـ)، ٦١ - ١١٠؛ نصر المنقري بن مزاحم، وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، مكتبة الخانجي، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م)، ١١٧، ١٧١، ١٩٠، ٢٢٧، ٢٦٢، ٤٤٤، ٥١٢؛ أحمد الكوفي بن أعثم، كتاب الفتوح، (بيروت: دار الندوة الجديدة، د. ت)، (مصور من طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ببيدر آباد بالدكن - الهند، د. ت)، ٥٣ - ٦٩، ١٤٠.

(٢) اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، ج ٢، ١٩٧، ٢٠٠؛ ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، ج ٤، ٦١، ٦٥؛ ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، ج ٣، ١٩٢ وما بعدها؛ الحسين، الهادي يحيى. غاية الأمان في أخبار القطر اليماني، مرجع سابق، ج ١، ٩٦؛ النويري، شهاب الدين. نهاية الأرب، مرجع سابق، ج ٢، ٢٥٩ - ٢٦١.

(٣) ابن سعد، محمد البصري. الطبقات، مرجع سابق، ج ٦، ٨٤؛ الحسين، الهادي يحيى. غاية الأمان، مرجع سابق، ج ١، ٩٣، ٩٤.

عبيد الله بن عباس، بخبرهم استدعاهم وتحاور معهم فبيّنوا له أنهم ما زالوا يرون مجاهدة من سعى على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه. فلجأ عبيد الله إلى سجن بعض رجالهم، فثار لهم أعوانهم خارج السجن وهددوا عبيد الله، إما أن يطلقهم، وإما لا طاعة له ولا لعلي بن أبي طالب، فرفض عبيد الله، فما كان منهم إلا أن استعصوا وامتنعوا عن دفع زكاة أموالهم لعبيد الله بن عباس^(١).

وقد حرص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على استشارة زعماء اليمن الذين يرافقونه في هذه الأحداث التي تحصل في اليمن، وكان من أولئك الرجال يزيد بن أنس الأرحبي^(٢) الذي نصحه بأن يكتب لهم كتاباً، فإن استجابوا كان بها، وإلا أرسل إليهم جيشاً، فكتب الكتاب وأرسله مع رجل من همدان^(٣). فلم يؤثر فيهم بل زادهم تمسكاً بموقفهم، وكتبوا على إثر ذلك لمعاوية بأن يرسل إليهم أميراً من قبله فأرسل بسر بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف رجل، وقيل أربعة آلاف مقاتل، وأوصاه بأن يذهب إلى الحجاز، ثم بلاد السراة حتى يصل إلى بلاد اليمن، ويكون حازماً شديداً على من يتصدى له^(٤)، فخرج بسر وجيشه فجاس خلال الديار يقتل ويحرق ويشرد كل شخص أو فئة كانت متشيعة للخليفة علي بن أبي طالب، وعندما علم عبيد الله بن عباس بقدمه خرج هارباً إلى الكوفة، والتقى بالخليفة علي بن أبي طالب هناك، وقبل خروجه من بلاد اليمن خلف عليها عبد الله بن عبد المدان الحارثي أحد أحفاد يزيد بن عبد المدان الحارثي، الذي كان ضمن وفد أهل نجران الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله في السنة العاشرة من الهجرة^(٥).

وعند وصول بسر بن أبي أرطاة إلى نجران وجد بها عبد الله بن عبد المدان فقتله، وقتل ابناً له يسمى مالكا^(٦)، ثم بقي بها يتهدد أهل نجران بالقتل، ثم جمعهم ونادى فيهم قائلاً: "يا إخوان النصراري، أما والذي لا إله غيره، لئن بلغني عنكم أمر أكرهه لأكثرن

(١) ابن أعمش، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، ج ٤، ٥٤.

(٢) يذكر أن يزيد كان مرافقاً لعلي بن أبي طالب في الكوفة، وما زال له قوم وعشيرة قوية في بلاد اليمن، لهذا استشاره الخليفة، انظر تفصيلات ذلك في: المرجع السابق.

(٣) قبائل همدان كانت أكثر القبائل سمعاً وطاعة للخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، منذ أن ذهب إليهم في عهد الرسول صلى الله عليه وآله حتى وفاته، ويقوا على الولاء لأبنائه وأحفاده، عاتق بن غيث البلادي، بين مكة وحضرموت رحلات ومشاهدات، (مكة المكرمة: دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م)، ١٢١، ١٢٢؛ عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع، اليمن في صدر الإسلام (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م)، ٣٢٢، ٣٢٣.

(٤) انظر: اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، ج ٢، ١٩٧ وما بعدها؛ ابن أعمش، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، ج ٤، ٥٤؛ ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، ج ٣، ١٩٢-١٩٤؛ النويري، شهاب الدين. نهاية الأرب، مرجع سابق، ج ٢، ٢٥٩.

(٥) اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، ج ٢، ١٩٧؛ ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، ج ٣، ١٩٢-١٩٤؛ ابن أعمش، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، ج ٤، ٥٤ وما بعدها.

(٦) وقد أنشد بعض بني عبد المدان:

فلولا أن أخفاف صيال بسر بكيت على بني عبد المدان

ابن أعمش، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، ج ٤، ٦٢؛ ابن حجر، شهاب الدين. الإصابة، مرجع سابق، مج ٢، ج ٤، ٩٨.

قتلاكم^(١). ثم واصل مسيره إلى بلاد صنعاء يلاحق المواليين للخليفة علي بن أبي طالب ويقتلهم ويشردهم. ولما بلغ خبر بسر بن أبي أرتاة الخليفة علي بن أبي طالب بعث جارية ابن قدامة السعدي في ألفين من الرجال، ووهب بن مسعود الخثعمي بالعدد نفسه، فتوجه جارية حتى أتى نجران فقتل جماعة ممن ناصرُوا بسر، وهرب ابن أبي أرتاة وأتباعه فطاردهم جارية السعدي ورجاله حتى دخلوا مكة المكرمة وهناك وافت الأخبار جارية بمقتل الخليفة علي بن أبي طالب على يد عبد الرحمن بن ملجم^(٢).

أما النصاري في نجران الذين كانوا قد تصالحوا مع رسول الله ﷺ وفق شروط محددة، فإنهم لما علموا بوفاة رسول الله ﷺ أرادوا أن يجددوا العهد مع خليفة رسول الله ﷺ فبعثوا وفداً إلى أبي بكر الصديق كي يوضحوا له التزامهم بالعهود التي صالحهم الرسول ﷺ عليها وعند مقابلتهم الخليفة أبا بكر سمع منهم وأقرهم على تلك العهود، وكتب لهم كتاباً قال فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ لأهل نجران أجازهم من جنده ونفسه، وأجاز لهم ذمة محمد ﷺ إلا ما رجع عنه محمد ﷺ بأمر الله عز وجل في أرضهم وأرض العرب، ألا يسكن بها دينان، أجازهم على أنفسهم بعد ذلك وملتهم وسائر أموالهم وحاشيتهم، وعاريتهم، وغائبهم وشاهدتهم وأسقفهم ورهبانهم وبيعهم حيثما وقعت، وعلى ما ملكت أيديهم من قليل أو كثير، عليهم ما عليهم فإذا أدوه فلا يحشرون ولا يعشرون ولا يغير أسقف من أسقفيتهم، ولا راهب من رهبانيتهم ووفى لهم بكل ما كتب لهم رسول الله ﷺ وعلى ما في هذا الكتاب من ذمة محمد رسول الله ﷺ وجوار المسلمين وعليهم النصح والإصلاح فيما عليهم من الحق"^(٣).

ويتضح من هذا الكتاب أن الخليفة أبا بكر أقرهم على وضعهم ما داموا ملتزمين بشروط الصلح الذي عقده مع رسول الله ﷺ، كما أوضح لهم موقف الرسول ﷺ من الديانات السماوية، اليهودية والنصرانية، وبقائها في جزيرة العرب، عندما روى لهم الحديث القائل: "أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب"^(٤)، ولكنهم الآن محميون

(١) اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، ج ٢، ١٩٩: وورد النص بصيغة أخرى مختلفة عند ابن أعثم الذي يذكر أن بسر خاطب أهل نجران بقوله: (يا إخوان اليهود والنصارى، أما والله لئن بلغني عنكم أمر أكرهه من ولايتكم علي بن أبي طالب، لأرجعن عليكم بالخيال والرجال، ثم لأكثرن فيكم القتل، فانظروا لأنفسكم فقد أعدرت من أنذر)، انظر: ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، ج ٤، ٦٢.

(٢) اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، ج ٢، ١٩٨، ١٩٩: ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، ج ٤، ٥٦، ٥٧، ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، ج ٢، ١٩٢ وما بعدها؛ ابن حجر، شهاب الدين. الإصابة، مرجع سابق، ج ٢، ٩٨؛ النويري، شهاب الدين. نهاية الأرب، مرجع سابق، ج ٢، ٢٥٤، ٢٥٥؛ الحسين، الهادي يحيى. غاية الأمانى، مرجع سابق، ج ١، ٩٦.

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، ج ٢، ٢٢١، ٢٢٢؛ حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ١٩١، ١٩٢.

(٤) في حديث رواه أبو عبيدة عن الرسول ﷺ أنه كان آخر ما تكلم به الرسول ﷺ قبل موته أن قال: (أخرجوا اليهود من الحجاز، وأخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب)، أبو عبد القاسم بن سلام، كتاب الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ١٤٤، ١٤٥، وفي رواية أخرى: (لا يبقين دينان في أرض العرب)، البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٧.

تحت مظلة الاتفاقية التي عقدها مع رسول الله ﷺ فلا خوف عليهم، ولهم الأمان^(١).

وكانت أعداد النصارى بنجران في تزايد مستمر، وقد شعر الخليفة عمر بن الخطاب بخطرهم على نجران وما حولها من البلاد، ولكنه لا يستطيع فعل شيء، لالتزامه بنصوص الاتفاقية المبرمة معهم منذ عهد الرسول ﷺ التي جدها الخليفة أبوبكر، وفي عام (٢٠هـ - ٦٤٠م) علم الخليفة أنهم يتعاملون بالربا، وهذا يعني أنهم قد خرقوا نصاً من نصوص الاتفاقية التي أبرمت بينهم وبين رسول الله ﷺ^(٢)، فأجلاهم من نجران انطلاقاً من المبدأ القائل "من نقض عهداً فلا ذمة له"^(٣)، بعد أن اشترى منهم عقارهم وأملاكهم فتفرقوا فمنهم من ذهب إلى العراق، وآخرون اتجهوا إلى الشام، فأما الذين سكنوا العراق فقد استقروا في الكوفة وسمي المكان الذي نزلوه باسم (النجرانية)، وأصبح اسمه نجران ويقال له نجران الكوفة للتمييز بينه وبين نجران الأصلية^(٤).

ويبدو أن عمر بن الخطاب قد تعاطف معهم يوم تركوا نجران واتجهوا إلى الشام والعراق، فكتب إلى من قبلهم من أمراء وعامة المسلمين، وذلك وفاء لهم بما كتب لهم رسول الله ﷺ وخليفته أبوبكر فقال: "أما بعد، فمن مروا به من أمراء الشام وأمراء العراق فليوسعهم من حرث الأرض، فما اعتملوا من ذلك فهو لهم صدقة، وعقبة لهم مكان أرضهم لا سبيل عليهم فيه لأحد ولا مغرم. أما بعد، فمن حضرهم من رجل مسلم فلينصرهم على من ظلمهم، فإنهم أقوام لهم الذمة وجزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين شهراً، من بعد أن يقدموا، ولا يكلفوا إلا من ضيعتهم التي اعتملوا غير مظلومين، ولا معتدى عليهم"^(٥). وبهذا المكتوب أعطاهم الخليفة عمر فرصة عامين لترتيب أوضاعهم والاستقرار، دون أن يلزمهم بدفع الجزية المفروضة عليهم منذ عهد الرسول ﷺ وبعد انقضاء هذه المدة تعود الجزية كما كانت تفرض عليهم من قبل، أسوة بسائر أهل الذمة من النصارى واليهود^(٦).

(١) المرجع السابق، ٧٧: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، ج ٢، ٣١٢: حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ١٩١، ١٩٢.

(٢) ويذكر أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتب لهم كتاباً مطولاً قال فيه: (... من عمر أمير المؤمنين إلى أهل رعاش كلهم... أما بعد، فإنكم زعمتم أنكم مسلمون ثم ارتددتم بعد...)، انظر نص الكتاب كاملاً: ابن سلام، أبو عبيد القاسم. كتاب الأموال، مرجع سابق، ١٤٥: الهمداني، الحسن بن أحمد. صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ٢١٨، حاشية (١).

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، ج ٤، ١١٠: البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، ٧٧، ٧٨: حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ١٩٢، ١٩٣، ويذكر أحد المصادر أن يهود نجران خرجوا معهم يوم ذهبوا إلى الشام والعراق، وكانوا كالأتباع لهم. البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٧.

(٤) يعقوب إبراهيم أبويوسف، كتاب الخراج، (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٢٨٢هـ)، ٧٤: ابن سلام، أبو عبيد القاسم. كتاب الأموال، مرجع سابق، ٢٧٤، البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٧: المسري، حسين علي. "نجران ودورها السياسي والاقتصادي"، مجلة المؤرخ المصري، مرجع سابق، ٧٢، ٧٤.

(٥) ابن سعد، محمد البصري. الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ج ١، ٢٥٨: البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٧، ابن سلام، أبو عبيد القاسم. كتاب الأموال، مرجع سابق، ٢٧٤: حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق السياسية، مرجع سابق، ١٩٣ - ١٩٤.

(٦) المرجع السابق.

وهناك رأي آخر في سبب إجلائهم من نجران يرويه لنا البلاذري، إذ يذكر أن نصارى نجران قد تزايدت أعدادهم، وضائق عليهم المدينة حيث بلغ تعدادهم قريبا من أربعين ألفا وشاع بينهم التباغض والتحاسد، فرفعوا أمرهم إلى عمر وطلبوا منه أن يجليهم من بلادهم، فاغتمت عمر هذه الفرصة، ولا سيما أنه كان متخوفا منهم على المسلمين بنجران وما حولها من البلدان فلبى طلبهم وأخرجهم إلى الشام والعراق، وبعد ذلك ندموا على ما فعلوا، فعادوا إلى عمر يسألونه أن يلغي قرار الإجماع ولكنه رفض وأصر على إجلائهم^(١).

وفي اعتقادنا أن الرأي الأول هو الأصح في سبب إجلائهم، ولأنهم قد أعطوا اليهود على أنفسهم، والتمروا بعدم نقضها، ولكن عندما نقضوها وجدها الخليفة عمر فرصة لإخراجهم، تنفيذاً بوصية الرسول ﷺ "لا يبقين دينان في أرض العرب"^(٢). ومن يدقق النظر في هذا الحديث يجد أن عمر بن الخطاب لم يخرج في عهده من الجزيرة العربية إلا نصارى نجران، ويهود خيبر، في حين أنه كان في بلاد اليمن، وهجر، واليمامة، وأرض البحرين، بعض النصارى، واليهود، وأيضا المجوس، حيث كانوا يعيشون في هدوء وسكينة تحت حماية دولة الإسلام، كذلك لم يتعرض أبوبكر من قبله لتلك العناصر غير المسلمة، وإنما جدد العهد لنصارى نجران حيث لم يجد كل منهما الفرصة لتنفيذ حديث رسول الله ﷺ فيخرجون أصحاب جميع الديانات الأخرى غير المسلمة من جزيرة العرب.

"وكان لنصارى نجران في مسألة إجلائهم من بلادهم على يد الخليفة عمر الخطاب أقوال وآراء يغلب عليها الطابع الغيبي، فيذكر ابن سعد أنهم زعموا، كما ورد في كتبهم، أن الذي يخرجهم من أرضهم في نجران رجل بفخذه شامة سوداء، وقد شاهدوا تلك الشامة بفخذ عمر بن الخطاب عندما ركب فرسا فأنكشف ثوبه عن فخذه، فقالوا "هذا الذي نجد في كتبنا أنه يخرجنا من أرضنا"^(٣).

وفي اعتقادي أن بعض أولئك النصارى الذين أجلاهم الخليفة عمر بن الخطاب من بلاد نجران إلى الشام والعراق، قد عاد بعضهم إلى أرض نجران، ربما في زمن الدولتين: الأموية والعباسية، وبخاصة أثناء انغماس العالم الإسلامي في كثير من الحروب والصراعات الداخلية والخارجية خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة (الثامن والتاسع للميلاد)، ومما يؤكد هذا القول، ما ورد في المصادر عند الحديث عن قدوم الإمام الهادي إلى الحق يحيى ابن الحسين إلى اليمن في أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، واستقراره في صعدة وإشارتها إلى أنه بدأ يوسع دائرة نفوذه شمالا فاصطدم بسكان نجران ودخل معهم في حروب طاحنة، وكما تشير المصادر فإن أغلب سكان نجران آنذاك كانوا مسلمين فيما عدا فريق منهم كان لا يزال يدين بالنصرانية، وقد عقد معهم عهدا يضمن لهم البقاء في نجران وأن لهم ما تحت أيديهم من العقار والأموال على أن يدفعوا على ذلك ضريبة^(٤).

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٨.

(٢) المرجع السابق، ٧٧.

(٣) ابن سعد، محمد البصري. الطبقات، مرجع سابق، ج٣، ٣٦٢.

(٤) وللمزيد من التفصيلات عن علاقة الهادي إلى الحق بنصارى نجران، انظر: علي بن محمد بن عبيد الله العباسي، سيرة الهادي إلى الحق، تحقيق: سهيل زكار، (بيروت: ١٩٨١م)، ١٠١؛ البلاذري، عاتق. بين مكة وحضرموت رحلات ومشاهدات، مرجع سابق، ٢٤١-٢٤٧.

رابعاً. نجران في العصرين الأموي والعباسي وما بعدهما :

١. الوضع السياسي بعد العهد الراشدي حتى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي :

ساد الاضطراب شبه الجزيرة العربية بعامه، وبلاد نجران بخاصة بعد انتهاء عصر الخلفاء الراشدين، وأهمل ذكرها في طيات المصادر، واستمر ذلك الإهمال والنسيان خلال العصر الإسلامي الوسيط، ولعل ذلك يرجع إلى عدد من الأسباب يأتي في مقدمتها انتقال حاضرة الخلافة الإسلامية، ومركز الثقل السياسي والزعامة من الحجاز إلى خارجها، أي من المدينة المنورة إلى خارج شبه الجزيرة العربية، حيث انتقلت العاصمة أولاً إلى دمشق ببلاد الشام ثم إلى بلاد العراق، وقد أدى انتقال السلطة المركزية، والزعامة السياسية، لخارج الجزيرة العربية، إلى ظهور عدد من المشكلات والعقبات السياسية التي كان لها انعكاسها على النواحي الحضارية، نذكر منها :

تقلص الدور السياسي لشبه الجزيرة العربية التي تحولت أجزاءها جميعها إلى مجرد ولاية عادية ضمن ولايات الدولة الإسلامية، بعد أن كانت مقراً للسلطة المركزية في عصري الرسالة والخلافة الراشدة، ولم تعد تشكل أهمية عند خلفاء بني أمية وبني العباس، فيما عدا حواضر الحجاز الكبرى، التي ظلت لها مكانتها الدينية والسياسية في هذين العصرين لكونهما (مكة المكرمة والمدينة المنورة) مقرين للحرمين الشريفين بما لهما من مكانة مقدسة في نفوس المسلمين، كما أن السيطرة عليهما، والقيام على خدمتهما وإسباغ الحماية عليهما، تحوز الرضا والتأييد السياسي والروحي من عامة المسلمين وخاصتهم، فترتفع بذلك مكانتهم، وبالتالي تتحقق المكاسب السياسية لأولئك الساسة لكونهم رعاة المقدسات.

أما أجزاء شبه الجزيرة العربية الأخرى خلاف مدن الحجاز المقدسة، فقد أصبحت منذ عصري بني أمية وبني العباس، وعلى مر القرون الإسلامية الوسيطة، هامشية تحت مظلة تلك الحكومات، فلم تعد لها الأهمية نفسها والقدر الذي كانت عليه في عصري الرسالة والخلفاء الراشدين، وذلك يعود - في رأينا - إلى البعد الجغرافي لمعظم أجزاء الجزيرة العربية عن الحاضرة السياسية للدولة الإسلامية ويرجع - أحياناً - إلى صعوبة التضاريس، ما أثر على سهولة الاتصالات فيما بين تلك البقاع والعاصمة، وهذان السببان نلاحظهما في بلاد اليمن ونجد والسروات التي تعد نجران جزءاً منها.

وإذا ما سعينا لتقديم دراسة تاريخية حضارية لبلاد نجران خلال هذه الفترة، فإننا نجد أن الأمر يزداد غموضاً، لأن العقبات المذكورة أعلاه تكاد تشمل أغلب نواحي شبه الجزيرة العربية، باستثناء بلاد الحجاز إلى حد ما، فإذا تطرقنا لمحاولة تقديم دراسة عن تاريخ منطقة صغيرة من شبه الجزيرة العربية مثل نجران وما شابهها، فإننا نقابل بصمت المصادر - تقريباً - عن إفادتنا بأي شيء حيال هذا الأمر، فالعلماء وأرباب القلم لا يذهبون - دائماً وأبداً - إلا إلى المواطن التي يجدون فيها الدعم والرعاية، حيث تصنع الأحداث السياسية، وقيم الحكام، ويزداد الثراء الحضاري، وهذا لا يتوافر إلا

في الحواضر الكبرى، فتوافدوا على بلاط خلفاء بني أمية وبني العباس، ليكونوا قريبيين من الأحداث وصنع القرار، فتركز اهتمامهم على التأريخ للدول وشخصيات الحكام دون الاهتمام بالتأريخ لموضوعات متخصصة إلا في القليل النادر، وإن دونوا شيئاً في مصنفاتهم عن تاريخ وأدب وحضارة بلاد بعيدة عن مواطنهم ومواقع استقرارهم مثل بلاد نجران، فذلك لا يكون إلا اعتماداً على الرواية الشفهية، أو بالاطلاع على بعض المصادر المحلية لتلك الأوطان وغالباً ما تكون هذه المصادر نادرة أو معدومة، وتزداد الأمور صعوبة على الباحث إذا ما تطرق إلى الدراسات الحضارية حيث يصادف ندرة في المعلومات التي تتصل بعدد من جوانب الموضوع، لتركيز المؤرخين في كتاباتهم على التاريخ السياسي، الأمر الذي جعل الجوانب الحضارية والاهتمام بها يضيع في زحام الصراعات السياسية، فقد يقرأ الباحث دراسات عديدة دون أن يتوصل إلى نص واحد يتناول مظهراً من مظاهر التاريخ الحضاري لمنطقة ما.

فعلى سبيل المثال إذا طالعنا المصادر الإسلامية على اختلافها من تاريخية وجغرافية وأدبية لنرى ما دونته عن نجران في العصرين الأموي والعباسي، فإننا نكاد لا نظفر بطائل، حيث اعتراها الإهمال، ومَرَّ المصنفون عليها وعلى ما جرى فيها من وقائع وأحداث، دون أن يتناولوها سواءً بإيجاز أو بتفصيل، فإذا حاولنا معرفة طبيعة النظام الإداري هناك، فإن المصادر لا تمدنا بمعلومات واضحة أو صريحة عن ذلك، فكل ما أشارت إليه في هذا الصدد ذكر أسماء الولاة المعيّنين من قبل خلفاء بني أمية، وكذلك بني العباس على الحجاز أو اليمن أو البحرين دون أن تفصل لنا ماهية الأوضاع الإدارية في تلك الأجزاء الصغيرة^(١).

أما بالنسبة ما يخص نجران -موضوع هذا البحث- فقد تعدى عدم الاهتمام بذكرها، وإهمال وقائعها في بطون المصادر للتاريخ الحضاري، ليشمل تاريخها السياسي أيضاً، فبدءاً من العصر الأموي لا نكاد نجد في طيات المصادر على اختلافها وتنوعها ما يشفي غليل الباحث من المعلومات المتصلة بهذا الإقليم ودوره السياسي والحضاري، وكل ما نعر عليه لا يزيد على شذرات متناثرة وأغلبها يعالج موضوع الثورات وحركات العصيان السياسي التي شهدتها أرجاء شبه الجزيرة العربية على وجه العموم، والمناطق الغربية والجنوبية الغربية منها بخاصة ونعني بها الحجاز واليمن، التي تأتي نجران وما يجاورها ضمنها، وبالتالي يمكننا أن نرجح أنه قد ساد هذه المنطقة ما ساد غيرها من مدن الحجاز الكبرى وحواضرها من فتن سياسية، وتأثرت بها^(٢).

(١) تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: لجنة من العلماء، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ج ٢، ١٦٦، ١٦٧؛ صالح أحمد العلي، (إدارة الحجاز في العصور الإسلامية الأولى)، مجلة أبحاث، س ٢١، ج ١، ٢٠١، (١٩٦٨م)، ٥٧-٣.

Hugh. Kennedy , ((Central government and Provincial elites in the early Abbasid Caliphate)) Bulletin of the School of Oriental and African Studies , 44 (1981) , 26 – 38, S.B. Samadi “Some Aspects of the theory of State and Administration Under the Abbasids “ Islamic culture , 29 (1955) , 120 – 150 , Elie Salem, “ Muslim Administration “ Islamic Culture 33 , (1959), 19 – 30.

(٢) للمزيد انظر أيضاً ابن جريس، نجران، ج ١، ص ١٠١ وما بعدها.

ونجد بعض الولاة العباسيين وعناصر أخرى غير علوية أثارت بعض الاضطرابات السياسية في بلاد الحجاز واليمن، فقد عزل الخليفة المأمون حمويه بن عيسى بن ماهان عن بلاد اليمن، واستتاب عنه في حكمه عيسى بن يزيد الجلودي^(١)، ولما علم ابن ماهان بمقدم الجلودي إلى اليمن رغب في صده عنها والاستقلال بها، فأعد العدة لمنع الجلودي من دخولها، ولكن الجلودي هزم جيش ابن ماهان واستولى على نجران وصعدة، ودخل صنعاء وقبض على ابن ماهان وسجنه وسيطر على البلاد، وعهد إلى عمال من قبله بحكم مخاليف اليمن، ومن بينها نجران، ثم عاد إلى العراق مروراً بالحجاز، وترك على ولاية اليمن إبراهيم الإفريقي الشيباني^(٢)، ولكن الاضطرابات عادت من جديد في نجران وتهامة اليمن، وبشكل هدد استقرار الأمور هناك، الأمر الذي دفع الخليفة المأمون العباسي للتفكير في فصل نجران وتهامة اليمن عن نجدها، ووضع وال مستقل عليها، يضبط أمورها، وينشر الأمن والاستقرار في ربوعها، فوجد ضالته في أحد قواده ويدعى محمد بن عبد الله بن زياد فعهد إليه بولاية نجران وتهامة وما يتبعها^(٣) لتبدأ منذ تلك الفترة النزعة الانفصالية التي تسري في أنحاء شبه الجزيرة العربية، فبعد أن ظلت المنطقة المذكورة طوال عهد الرسالة والخلافة الأموية حتى أوائل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، تابعة بالكلية للخلافة الإسلامية التي عمدت إلى تقسيمها إلى عدد من الولايات ليسهل الإمساك بزمامها مثل: الحجاز، واليمن، واليمامة، والبحرين، نجدها منذ السنوات الأولى من القرن الثالث حتى العاشر الهجريين (التاسع حتى السادس عشر الميلاديين)، تتأثر بالنزعة الاستقلالية التي سرت في غالبية أصقاع العالم الإسلامي المترامية الأطراف الذي صعب على الخلافة العباسية أن تسيطر سيطرة مركزية عليها، فبدأت تسمح بظهور دويلات مستقلة عنها سياسياً، وتابعة لها اسمياً وروحياً، وإن كانت بعض الزعامات المحلية قد انتهزت فرصة الضعف الذي أصاب نظام الخلافة العباسي في عصره الثاني، وما صاحبه من تردي شخصيات الخلافة، فاستقلوا سياسياً وإدارياً وبشكل كامل عن العباسيين. وعلى أي حال فقد تأثرت نجران، بل عموم أجزاء الجزيرة العربية بكل تلك التيارات السياسية، فنشأت بها دولة بني زياد - كما أسلفنا - في نجران وتهامة اليمن وما تبعها بدءاً من عام ٢٠٣هـ (٨١٨م) وهي أول دولة مستقلة تنشأ هناك بعد انفصال بعض بلاد اليمن عن الحكم العباسي^(٤)، وتلتها الدولة اليعفرية في صنعاء

(١) اليعقوبي، أحمد. تاريخ، مرجع سابق، ج ٢، ٤٤٨، ٤٤٩؛ الخزرجي، علي. الكفاية، مرجع سابق، ٩٩.

(٢) اليعقوبي، أحمد. تاريخ، مرجع سابق، ج ٢، ٤٤٩.

(٣) الجرائفي، عبد الله عبد الكريم. المقتطف من تاريخ اليمن، مرجع سابق، ١٠٥، ١٠٦؛ شرف الدين، أحمد حسين. اليمن عبر التاريخ، مرجع سابق، ١٨٨ وما بعدها.

(٤) تذكر المصادر أنه في عام ٢٠٣هـ (٨١٨م) شق أهل نجران وتهامة اليمن عصا الطاعة على الخليفة المأمون ٢١٨.١٩٨هـ (٨٢٣.٨١٣م)، فبعث إليهم الأمير محمد بن عبد الله بن زياد وقلده أعمال تلك البلاد لكي يؤدب العصاة، فذهب ابن زياد واستطاع القضاء على المتمردين هناك ثم طمع في الاستقلال بتلك النواحي، واختط مدينة زبيد وأسس دويلة سميت (الدولة الزبيدية) استمرت في عقبه مدة قرنين، وتم القضاء، عليها عام ٤٠٢هـ (١٠١١م) على يد بني نجاح. وللمزيد انظر: الجرائفي، عبد الله بن عبد الكريم. المقتطف، مرجع سابق، ١٠٦، ١٠٥؛ الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف. اليمن في ظل الإسلام، مرجع سابق، ٨١، ٨٩؛ شرف الدين، أحمد حسين. اليمن عبر التاريخ، مرجع سابق، ١٨٨، ١٨٩.

عام ٢٢٥هـ (٨٣٩م)^(١)، ثم الدولة الزيدية في صعدة عام ٢٨٤هـ (٨٩٧م)^(٢)، ثم الدعوة الإسماعيلية الأولى وكان علي بن الفضل القرمطي الحميري، ومنصور بن حسن الكوفي هما اللذان قدما إلى اليمن بهدف نشر المذهب الإسماعيلي هناك^(٣).

٢- أحوال نجران السياسية منذ القرن الرابع الهجري / إلى العاشر الهجري :

ورغم سريان النزعة الانفصالية في الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، إلا أن الأمور لم تهدأ، ولم تستقر أحوال تلك الدول الوليدة، بل تتابعت حركات التمرد والعصيان، وشاعت الحروب، فبعد ظهور الإمام الهادي يحيى بن الحسين في صعدة عام ٢٨٤هـ (٨٩٧م) وتأسيس دولته الزيدية نجده ومن جاء بعده من الأئمة الزيدية، يسعون إلى مد نفوذهم إلى صنعاء جنوباً، ونجران شمالاً، وقد وجدوا في بعض النجرانيين من يعضدهم، ويقف إلى جانبهم ويسهل لهم مهمة السيطرة على بلاد نجران، ومنذ ذلك الوقت وعلى مر العصور الإسلامية الوسيطة تزايد اهتمام دولة الأئمة الزيدية بمنطقة نجران، وسعى حكامها للسيطرة عليها ووضع الولاة من قبلهم ليتولوا أمرها، ولكنهم ما إن تخرج جيوشهم منها في طريقها إلى صعدة، حتى تقوم ثورات أهل نجران ضد ولاة الدولة الزيدية، وينجحون في إخراجهم وأنصارهم منها^(٤).

(١) دولة بني يعفر تعد ثاني دولة نشأت في اليمن واتخذت بلدة شبام، ثم صنعاء مقراً لها، ومؤسسها إبراهيم بن يعفر الحوالي الحميري، وقد استمرت هذه الدولة تحكم صنعاء وما جاورها من البلدان إلى عام ٣٩٢هـ (١٠٠٢م)، وللمزيد انظر: الخزرجي، علي. الكفاية، مرجع سابق، ١٠٤ وما بعدها، ١٦٦، ١٦٨: الجرافي، عبدالله عبد الكريم. المقتطف، مرجع سابق، ١٠٧، ١٠٨، الفقي، عصام الدين، اليمن في ظل الإسلام، مرجع سابق، ٩٠-٩٧.

(٢) هذه الدولة نسبة إلى زيد بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أنشأها الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم عام ٢٨٤هـ (٨٩٧م) الذي كان يعيش بالمدينة المنورة، ثم ترك محل إقامته وذهب إلى صعدة فيبيع إماماً بها على المذهب الزيدي الذي لا يزال المذهب الغالب على أهل اليمن، وقد استطاع الإمام الهادي مد نفوذه إلى صنعاء وإلى عدة مواطن من بلاد اليمن، وخلفه عدد من الأئمة استمروا في حكم البلاد إلى القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي، عندما تحولت الدولة إلى جمهورية، وللمزيد انظر: شرف الدين، أحمد حسين. اليمن عبر التاريخ، مرجع سابق، ٢٤٥-٢٦٢: الفقي، عصام الدين. اليمن في ظل الإسلام، مرجع سابق، ص ٣٧٨ وما بعدها.

(٣) الإسماعيلية هي الباطنية نسبة إلى إسماعيل الإمام، ويعتقدون اختفاءه وأنه المهدي المنتظر الذي لا بد أن يظهر يوماً ما وحلول الذات الإلهية فيه، وأن القرآن يمكن تفسيره عن طريق المجاز، وأن الحقيقة الدينية تفسر بالمعنى الذي هو مقصود في المعنى الظاهر. وبداية هذه الدولة أن علي بن الفضل، ومنصور بن حسن قد أرسلوا في عام ٢٩١هـ (٩٠٣م) من قبل عبد الله المهدي لنشر المذهب الإسماعيلي في اليمن، وقد خرجا حتى وصلوا إلى اليمن، ثم افترقا، وبدأ كل واحد منهما يبذل جهده لنشر هذا المذهب، لكن علي بن الفضل ضل عن الخطوط العارمة لمذهب الإسماعيلية واتبع مذهب القرامطة الذي هو أشد من مذهب الإسماعيلية، وقد جمع من حوله أعداداً كبيرة ثم عاث في الأرض فساداً بعد أن هاجم عدداً من مدن اليمن، ولكن أمراء الدولة اليعفرية تصدوا له حتى تم القضاء عليه عام ٣٠٣هـ (٩١٥م) وبالتالي تمت ملاحقة من كان يعتقد بمذهب القرامطة والإسماعيلية حتى جاء علي بن محمد الصليحي عام ٤٢٧هـ (١٠٤٥م) فأعاد مذهب الدعوة الإسماعيلية تحت مظلة الدولة الصليحية. انظر: الجرافي، عبدالله بن عبد الكريم، المقتطف، مرجع سابق، ١١١-١١٤؛ عبد الواسع بن يحيى الواسعي بن يحيى، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، (صنعاء: الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م/ ١٤١٤هـ)، ١٦٩، ١٧١، شرف الدين، أحمد حسين. اليمن عبر التاريخ، مرجع سابق، ص ١٩٧، ١٩٨.

(٤) للمزيد من التفاصيل انظر، اسحاق بن يحيى الصنعاني. تاريخ صنعاء، تحقيق: عبد الله الحبشي، (صنعاء: مكتبة السنحاني، د.ت) ٦٦، ٧٤، ٨٢، ١٠٤ وما بعدها، سليمان بن يحيى الثقفي. سيرة الإمام أحمد بن سليمان (٥٢٢ - ٥٦٦)، تحقيق عبد الغني عبد العاطي (القاهرة: عين للدراسات والبحوث، ٢٠٠٢م)، ٢٥، ٤٠ - ٤٤، ٦٠ وما

وهكذا ظلت الأمور في نجران طوال القرون الإسلامية الوسيطة: قلق واضطرابات وحروب داخلية بين الزيدية، وأهل نجران، ورغم طول المدة وتعدد الحروب والثورات والصراعات بين الأئمة الزيدية وأتباعهم ضد أهل نجران، وإحراز الزيديين عددا من الانتصارات ضدهم، إلا أنهم لم يستطيعوا ترسيخ مبادئهم ومذهبهم الزيدي فيها، حيث بقي معظم سكان نجران على المذهب السني الشافعي الذي كانوا عليه من قبل، واستمروا كذلك خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة^(١).

إن ما أشرنا إليه من فتن سياسية وثورات في هذه الدراسة^(٢)، كان محلها بلاد اليمن أو الحجاز ضد خلفاء بني أمية أو بني العباس، ثم ظهور الدويلات المستقلة، وما تبع ذلك من اضطرابات، ليست إلا نماذج مختصرة، لنطلع القارئ الكريم على وضع شبه الجزيرة العربية بعد خروج حاضرة الخلافة الإسلامية منها، وبعد أن صارت أجزاءها ضمن ولايات الدولة الإسلامية التي كانت عاصمتها دمشق في بلاد الشام، ثم بغداد في أرض العراق ثم القاهرة في عصر دولة المماليك (٩٢٣.٦٤٨هـ / ١٥١٧.١٢٥٠م) وبالتالي فإن عامل البعد للحكومة المركزية جعل السيطرة على أجزاء شبه الجزيرة العربية مثل: الحجاز، وبلاد السراة، ونجران، واليمن وغيرها ضعيفا، ولم يعد الخلفاء قادرين على السيطرة وقمع أي ثورة تقوم في أي جزء من أجزاء الجزيرة العربية بسهولة ويسر وفي فترة زمنية وجيزة مقارنة بعصري الرسالة والخلافة الراشدة، ولكن عصر بني أمية والقرن الأول من عصر بني العباس كانا أفضل حالا من القرون التالية، فكان الخليفة يتمتع بالشخصية القوية الحازمة والقادرة على إرسال ولاة من قبله إلى كل من الحجاز واليمن وغيرها، بل كانت عنده القدرة على تأديب من يخرج عما رسم له من قبل الخليفة وعزله، ولكن منذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) نجد معظم بلاد الجزيرة العربية تخرج عن سلطة الخلافة العباسية في العراق أو سلطة المماليك في مصر، وظهر ممن لديهم أطماع استقلالية لتكوين سلطات لهم في جزيرة العرب كما حدث مع دولة آل يعفر وغيرها في بلاد اليمن.

وإذا حاولنا معرفة أوضاع الأجزاء الصغيرة في الجزيرة العربية مثل: نجران وما شابهها في فترة الضعف هذه، فإن الأوضاع تزداد غموضا عند مدوني التراث، فهم لا يذكرون تفصيلات عن تاريخها والأحداث التي مرت عليها، ولا نجد إلا شذرات يسيرة في بعض المدونات المحلية في بلاد اليمن والحجاز^(٣)، وحتى هذه فإن الغموض يكتنفها، ولعل هذا الإهمال والغموض يعود إلى انعدام السيطرة والسلطة المركزية في تلك الأصقاع

بعدها، أبو فراس بن دعثم . السيرة الشريفة المنصورة (سيرة الإمام عبد الله بن حمزة ٥٩٢ - ٦١٤ هـ) . تحقيق: عبد الفني عبد العاطي (بيروت: دار الفكر، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م) . ج١، ٣٣ وما بعدها . ج٢، ٥٠٤ وما بعدها .

(١) للمزيد عن تاريخ الأئمة الزيدية في صعده وما حولها، انظر: العلوي، علي بن محمد العباسي. سيرة الهادي إلى الحق، مرجع سابق، ٧٢ وما بعدها؛ الواسعي، عبد الواسع بن يحيى. تاريخ اليمن، مرجع سابق، ١٧٩، ١٨١، الجرافي، عبد الله بن عبد الكريم. المقتطف، مرجع سابق، ١٦٥، شرف الدين، أحمد حسين. اليمن عبر التاريخ، مرجع سابق، ٢٤٥ وما بعدها.

(٢) للمزيد انظر صفحات سابقة في هذه الدراسة.

(٣) التقضي، سليمان بن يحيى . سيرة الإمام أحمد بن سليمان، مرجع سابق، ٢٢، ٤٠ وما بعدها، ابن دعثم، أبو فراس . الإمام عبد الله بن حمزة، مرجع سابق، ج١، ٦٤، ٢٠٥، ٤٠١، ج٢، ٥٢٨، ٧٩٨ - ٨٠٠، ٩٠٦، ٩٤٢ .

وتمادي نفوذ القبائل وزعمائها، حتى صاروا هم العناصر المسيطرة والمسيرة لمعظم الأحداث في الجزيرة العربية، ويؤكد ذلك الرحالة ابن الجاور، من أهل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) في حديثه عن أهل نجران وغيرهم من أهل البلاد الممتدة من صنعاء جنوباً إلى مكة المكرمة شمالاً، فيقول: "يحكم على كل قرية [عندهم] شيخ من مشايخها كبير القدر والسن، ذو عقل وفطنة، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولم يخالفه أحد فيما يشير به عليهم ويحكم فيهم...^(١)".

وهكذا كانت القبيلة تمثل قمة الهرم الإداري والسياسي المحلي عند نجران وغيرها من بلدان شبه الجزيرة العربية خلال العصر الإسلامي الوسيط، وقد استمرت الحياة الإدارية بهذه الصورة عند القبائل والعشائر البعيدة عن السلطة الإدارية التابعة للخلافة والموجودة في بعض مدن وحواضر شبه الجزيرة العربية.

وإن ظهرت دويلات هنا وهناك، فإنها لم تكن تجد الولاء المطلق من القبائل المتناثرة في بلاد نجران وغيرها، وإن انضمت بعض القبائل لبعض تلك الدويلات التي ظهرت فإن هذا الانضمام يكون بشكل مؤقت ولمصلحة ذاتية تعود على القبيلة والعشيرة وزعمائها، وأحياناً تدخل بعض القبائل والعشائر تحت سلطة حكومة أو دويلة معينة بأسلوب القوة والجبر أو لهدف تقوية جانبها ضد أعداء آخرين يهددون كيانها واستقلالها. وبالتالي فالمؤرخون ومدونو التراث لا يهتمون بتلك الأحداث المحلية اليسيرة، فهم قد ركزوا جل اهتمامهم على ما يجري في بلاط القوى السياسية الكبرى في العراق وفارس ومصر والشام، وغيرها من الحواضر الإسلامية بزخمها الحضاري والسياسي، تاركين الاهتمام بهذه المناطق الصغيرة ليعتورها الإهمال والنسيان.

خامساً : نجران في العصر الحديث والمعاصر :

١. نجران منذ القرن العاشر إلى نهاية القرن الثاني عشر الهجري :

إن المتأمل في أحوال بلاد نجران خلال القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) يجد قبائل يام ونهد وغيرها هي صاحبة النفوذ في هذه الأوطان^(٢)، وقبل الحديث عن أحوال نجران السياسية والحضارية في بدايات العصر الحديث، لابد من الإشارة إلى أحوال العالم الإسلامي بشكل عام، والجزيرة العربية بصفة خاصة، حيث كانت على النحو التالي :

أ - كانت بلاد الجزيرة العربية في وضع مضطرب، فالقبائل العربية هي الحاكمة الرئيسية في أوطانها، حتى وإن كان هناك دويلات متناحرة في بلاد اليمن^(٣)، أو بعض

(١) ابن الجاور، جمال الدين، صفة بلاد اليمن ومكة، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٦٠.

(٢) للمزيد عن قبائل نجران وتاريخها، انظر الهمداني، صفة، ١٥١، ١٦٦، ٢٥١، البلادي، بين مكة وحضرموت، ص ١٢٥ وما بعدها، غيثان بن جريس، نجران، ج ١، الطبعة الثانية، (١٤٢٤هـ / ٢٠١٢م)، ص ٤٨، ٣٩.

(٣) هناك دويلات عديدة ظهرت في اليمن، وتختلف في عقائدها من سنية إلى إسماعيلية وزيدية وغيرها، كما كانت تختلف في ولائها وما تحارب من أجله، انظر: عمارة اليمن، تاريخ اليمن، ص ٦٦ وما بعدها، وللمزيد انظر كتب تاريخية عديدة صدرت في عهد الدولة الرسولية والدولة الزيدية وغيرها.

الأشراف المتصارعين على إمارة الحجاز^(١)، ناهيك عن المناطق الداخلية التي كانت تعيش في استقلالية تامة تحت نفوذ شيوخها وأعيانها^(٢).

ب - تعتبر دولة المماليك في مصر هي المسؤول الأول عن العالم الإسلامي آنذاك، وقد امتد نفوذها إلى اليمن والحجاز وغيرها من بلدان الجزيرة العربية، وفي القرن العاشر الهجري بدأت هذه الدولة غير قادرة على حماية الأوطان الخاضعة لنفوذها وبخاصة الأماكن المقدسة في الحجاز، كما ظهر أعداء خارجين يتطلعون إلى ضرب المسلمين في عقر دارهم، مثل : الدولة الصفوية في إيران التي كانت تسعى إلى السيطرة على المدن المقدسة في الحجاز، والبرتغاليون الذين غزو البحار ووصلوا إلى الشرق ودخلوا البحر الأحمر حتى صاروا يهددون مكة والمدينة^(٣).

ج - في ظل هذه الظروف السياسية الصعبة، كانت الدولة العثمانية في أوج مجدها، وتسير في توسيع ممتلكاتها نحو الغرب، ولكن عندما نظرت إلى الشرق وإذا ببلاد المسلمين ومقدساتهم في خطر قررت الرجوع نحو الشرق الأدنى وحماية مقدسات المسلمين، ونتج عن هذا التحول السياسي أن اصطدم العثمانيون بدولة المماليك وقضوا على حكمهم في معركتي مرج دابق عام (٩٢٢هـ / ١٥١٦م)، ثم الريدانية عام (٩٢٣هـ / ١٥١٧م)^(٤). كما أحبطوا تطلعات الصفويين، وتصدوا للبرتغاليين وأخرجوهم من البحر الأحمر، ولم يكن على القوى السياسية المحلية في اليمن أو الحجاز إلا الاعتراف بالعثمانيين والخضوع لهم، مع أنه ظهر بعض المناوئين لهم مثل الأئمة الزيدية في صعدة وصنعاء الذين كانوا غير راغبين في هيمنة الدولة العثمانية على بلادهم، ولكن بعد حروب عديدة استطاع العثمانيون السيطرة على معظم بلاد اليمن وبخاصة سواحلها وحواضرها الكبرى^(٥).

أما المناطق الداخلية الصغيرة البعيدة عن سواحل البحر الأحمر، فلم تعطها الدولة

(١) انظر تواريخ مكة المحلية مثل كتب الأزرقى، والفاكهي، والفاصي، وآل فهد، وانظر تاريخ مكة للسباعي، وللمزيد انظر: غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (جازان، وعسير، ونجران) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٢٥هـ / ٢٠١٤م)، الجزء السادس، ص ٢٥ وما بعدها.

(٢) للمزيد انظر ابن الجاور، صفة بلاد اليمن، ج ١، ص ٢٦، كما أن وثائق القرون (١٢-١٤هـ / ٢٠١٨م) تؤكد أن قبائل نجران كانت صاحبة الحل والعقد في بلادهم. ودراسة تاريخ قبيلة يام أو غيرها من قبائل نجران من الموضوعات التي تستحق أن يصدر عنها عشرات البحوث والكتب.

(٣) قطب الدين النهرواني. البرق اليماني في الفتح العثماني (الرياض: دار اليمامة، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م)، ص ١٧ وما بعدها، محمد بن أحمد بن إياس. بدائع الزهور في وقائع الدهور (القاهرة، ١٣٦٣هـ)، ج ٤، ص ١٨٢، غيثان بن جريس. "جدة في مواجهة الخطر البرتغالي خلال الثلث الأول من القرن (١٠هـ / ١٦م)" بحث منشور في كتاب: الصراع بين العرب والاستعمار في عصر التوسع الأوربي الأول. منشورات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م)، ص ٢٢٧. ٢٧١.

(٤) موسوعة المملكة العربية السعودية (الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٨هـ)، مج (١٥)، ص ١٤٣ وما بعدها. للمزيد انظر، جلال يحيى. المجلد في تاريخ مصر الحديث (القاهرة ١٩٨٢م)، ص ٥١، ٥٧، فاروق عثمان أباطه. الحكم العثماني في اليمن (١٨٧٢-١٩١٨م) (بيروت، ١٣٩٥هـ) ص ١٦ وما بعدها.

(٥) فاروق أباطة، الحكم العثماني، ١٨ وما بعدها، السيد مصطفى سالم، الفتح العثماني الأول (١٥٢٨-١٦٣٥م) (القاهرة، ١٩٧٤م)، ص ٤٦ وما بعدها، محمد يحيى الحداد. تاريخ اليمن السياسي منذ عهد الإمام الهادي إلى سقوط دولة الإمامة (بيروت، ١٤٠٧هـ)، ص ١٩٤-١٩٦، موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥)، ص ١٤٨، ١٤٩.

العثمانية اهتماماً كبيراً، ومن تلك النواحي نجران التي اعترفت فقط اسماً بالعثمانيين، في حين أن النفوذ الحقيقي في الأراضي النجرانية كان للقبائل المحلية، والناظر في حكم العثمانيين الأول لبلاد اليمن (٩٤٥-١٠٤٥ هـ/١٥٣٨-١٦٣٥ م) يجد أن نجران كانت بعيدة عن حكم الدولة العثمانية المباشر، مع أن العثمانيين حاولوا مد نفوذهم شمال اليمن إلى صعدة ونجران، لكن الأئمة الزيدية كانوا في حروب مستمرة مع القوات العثمانية، ثم إن صعوبة الأرض جعلت العثمانيين يكتفون بالسيطرة على موانئ اليمن وبعض حواضرها الرئيسية، ثم تطور بهم الأمر إلى أن خرجوا من جنوبي شبه الجزيرة العربية عام (١٤٠٥ هـ/١٦٣٥ م)^(١).

وفي عام (١١٤٢ هـ/١٧٣٠ م) نجد قبيلة يام النجرانية تتصل ببعض الزعماء الدينيين المكارمة في اليمن، والذين كانوا على خلاف مع الإمام المنصور الحسين بن القاسم بن محمد (١١٣٩-١١٦١ هـ/١٧٢٧-١٧٤٨ م) ويقومون بغزو بعض المناطق التابعة للإمام مثل: بيت الفقيه بن عجيل الذي قامت بنهبه، وعندما علم الإمام باتجاه يام نحو صنعاء أخذ في الاستعداد لذلك، وطلب من قبائل بكيل العون والمساندة، وبالفعل توجه الشيخ علي بن عبد الله المؤيد بقبائل بكيل إلى المحمرة وتصدى لقبيلة يام ودحرها حتى عادت إلى نجران^(٢).

وعند خروج العثمانيين من بلاد اليمن بقيت نجران تتمتع باستقلالها عن القوى السياسية المحيطة بها، مع أن الأئمة الزيدية كانوا يسعون إلى بسط نفوذهم على البلاد النجرانية، ولكن استقرار محمد إسماعيل المكرمي في نجران خلال القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) جعل الوضع أشد صعوبة^(٣)، وأصبح النجرانيون تحت نفوذ المكرمي لا يقبلون بحكم الزيدية، ويذكر أن بعض الأئمة استطاعوا مد نفوذهم إلى نجران، فهذا الإمام المهدي عباس بن الحسين في سنة (١٠٨٦ هـ/١٦٧٦ م) أرسل حملة إلى نجران بهدف إخضاعها لكنه لم يحقق نجاحات كبيرة واكتفى بأخذ الزكاة من بعض عشائرها^(٤).

(١) كان هناك محاولات عديدة من العثمانيين في مد نفوذهم إلى صعدة ونجران، ولكن الأئمة الزيدية في صعدة وأهل نجران بذلوا ما في وسعهم لدحر العثمانيين وطردتهم من هذه البلاد، وإذا كان بعض الولاة العثمانيين نجحوا في السيطرة على تلك الأوطان لبعض الوقت إلا أنهم لم يقدرُوا على الاستمرار، وهذا مما جعل السلطان العثماني يسحب قواته من شبه الجزيرة العربية عام (١٠٤٥ هـ/١٦٣٥ م). للمزيد انظر، فاروق أباطه، الحكم العثماني في اليمن، ص ٢٥، صفي الدين أحمد بن عبد الله بن حنش، النور المشرق في فتح المشرق وما به الحق (بيروت: دار التنوير للطباعة، ١٩٨٦ م)، ص ٢٢ وما بعدها، السيد مصطفى سالم، الفتح العثماني، ص ٤٩ وما بعدها.

(٢) للمزيد انظر، محمد بن عبد الله آل زلفه. عسير في عهد الملك عبد العزيز، ودورها السياسي والاقتصادي والعسكري في بناء الدولة (دراسة وثائقية) (الرياض: ١٤١٥ هـ/١٩٩٥ م) ص ٤٥٨ وما بعدها.

(٣) كان بداية وصول المكارمة إلى نجران في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) عندما استقر إبراهيم المكرمي فيها في عام (١٠٤٢ هـ/١٦٣٢ م). انظر: موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥)، ص ١٤٩، ١٥١.

(٤) الصراعات السياسية بين الأئمة الزيدية ونجران منذ القرون الإسلامية المبكرة، واستمرت عبر أطوار التاريخ الإسلامي الوسيط والحديث. للمزيد من التفاصيل انظر يحيى بن الحسين بن القاسم. غاية الأمان في أخبار القطر اليماني (القاهرة، ١٢٨٨ هـ/١٩٦٨ م) جزءان في مجلد واحد، ص ١٧٦ وما بعدها.

والدارس لتاريخ نجران خلال القرنين (١٢٠١١هـ/١٨١٧م) يجد أن قبيلة يام وغيرها من قبائل نجران استطاعت أن تحافظ على استقلال البلاد النجرانية، حتى وإن حصل بعض الصراعات والحروب القوية بين الزيديين والنجرانيين، وأحياناً كان أهل نجران يمدون نفوذهم إلى بعض البلدان التابعة للمخلاف السليماني، أو للأئمة الزيدية^(١).

٢. نجران خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) :

كانت شبه الجزيرة العربية خلال القرن (١٢هـ/١٨م) تعيش حياة الفرقة والتشرذم، والناس مشغولون بكسب أرزاقهم من مهتهم الاجتماعية والاقتصادية المختلفة^(٢)، وزعماء القبائل صانعو قرارات بلادهم، وإذا نظرنا في أحوال السكان الدينية وجدناها سطحية، بل إن البدع والخرافات متفشية بينهم، وفي ظل هذه الظروف الحالكة ظهر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته الإصلاحية، وانضم إليه وسانده الإمام محمد بن سعود في الدرعية، واتفق الإمامان على تطبيق الدين الإسلامي الصحيح، ومحاربة كل ما يخالفه^(٣).

وعند انتشار خبر الدعوة الإصلاحية في أنحاء شبه الجزيرة العربية ظهر لها معارضون كثيرون، وكانت قبيلة يام في نجران من أول المعارضين وبخاصة عندما حصل بعض الصدامات مع أبناء عمومته (العجمان)^(٤)، وجيوش عبد العزيز بن محمد ابن سعود^(٥)، وكانت نتيجة تلك الحروب أن التقى الطرفان في الحائر جنوب الرياض عام (١١٧٨هـ/١٧٦٤م)، وانهزم جيش الإمام عبد العزيز وقتل من جيشه حوالي (٤٠٠) رجل ثم عقد الصلح بين النجرانيين وابن سعود وعادوا إلى بلادهم نجران تحت قيادة زعيمهم حسن بن هبة الله المكرمي^(٦).

(١) للمزيد عن حروب وبسالة النجرانيين في حروبهم مع الزيدية وأهل المخلاف السليماني، وكذلك صلاتهم السلمية مع صعدة وصنعاء وجازان وأجزاء من بلاد نجران وتهامة والسراة انظر: عبد الرحمن البهكلي . خلاصة المسجد من حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد (دمشق، ٢٠٠٠م) ص ١٢٨ وما بعدها، غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج ٦، ص ٢٦ وما بعدها، للمؤلف نفسه، دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيط (١٠ق/١٦٧٧م) (الرياض: مكتبة العبيكان (١٤٢٢٠٢هـ/٢٠١١٠١م)، الجزء الثاني، ص ٥٩٦.٤٧١، ٣٥٦.٢٩٩.

(٢) دراسة أحوال الجزيرة العربية الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية خلال القرون (١٢.١٠هـ/١٦.١٩م) موضوع يستحق أن يصدر عنه عشرات البحوث والكتب، ونأمل من أقسام التاريخ في الجزيرة أن توجه طلابها لدراسة هذه الحقبة حضارياً فهي جديرة بالاهتمام.

(٣) للمزيد نظرياً: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم . الدولة السعودية الأولى (١٨١٨.١٧٤٥م/١٢٣٢.١١٥٨م) (القاهرة، د. ت) ج ١، ص ٦٠ وما بعدها، للمزيد عن تاريخ الدعوة الإصلاحية انظر، أحمد عطية الزهراني . دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، رسالة دكتوراه جامعة أم القرى (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) .

(٤) العجمان فرع من فروع قبيلة يام في نجران خرجوا من ديارهم عام (١١٢٠هـ/١٧١٨م) متجهين نحو الشمال حتى استقروا في وسط وشرق الجزيرة العربية . انظر: عبد الرحمن البهكلي، خلاصة المسجد، ص ١٢٨، موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥)، ص ١٥٠.١٥١ .

(٥) انظر عبد الرحيم عبد الرحمن، الدولة السعودية الأولى، ص ٦٣ وما بعدها .

(٦) وعند رجوع المكرمي مع جيشه النجراني نجد أن الدولة السعودية نجت من أهم الأخطار الخارجية التي قابلتها في بداية نشأتها . انظر عثمان بن عبد الله بن بشر . عنوان المجد في تاريخ نجد (الرياض، ١٤٠٢هـ) ج ١، ص ٩٣ وما بعدها .

واستمرت المناوشات بين العجمان وقوة الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ففي عام (١١٧٩هـ/١٧٦٥م) تحالف العجمان مع الدواسر ونزلوا بأعالي نجد من أجل محاربة الإمام عبد العزيز بهدف إظهار ضعف دولته وعدم قدرتها على التصدي لأي قوة عسكرية، وأمام هذا التصدي أرسل الإمام عبد العزيز ابنه سعود لمحاربة ذلك التحالف، ولكنه لم يستطع هزيمته، وعاد إلى الدرعية^(١).

واستمرت الدولة السعودية الأولى في مد نفوذها على أجزاء عديدة من بلاد نجد، وعند اصطدام أئمة الدعوة بأمير الدلم زيد بن زامل جنوب نجد طلب الأخير العون من حسن بن هبة الله المكرمي في نجران، فلم يتأخر الزعيم النجراني من مؤازرة ابن زامل مقابل مبلغ من المال، وقد اصطحب معه أعوانا آخرين من بلاد الدواسر واتجه إلى الحائر ودارت معارك بين عبد العزيز بن محمد وزيد بن زامل ومعه المكرمي عام (١١٨٩هـ/١٧٨٤م)، إلا أنها لم تكن حاسمة، وربما كانت في صالح الإمام عبد العزيز وأعوانه، ومن ثم قرر حسن بن هبة الله صرف النظر عن التقدم إلى الدرعية وعاد أدراجه إلى بلاده. ويبدو أن الأسباب التي جعلت زعيم نجران يتراجع تتمثل في تنامي قوة الدولة السعودية الأولى التي استطاعت أن تقضي على كثير من أعدائها في نجد، ثم مرض حسن بن هبة الله، وعدم استمرار الاتفاق مع زيد بن زامل الذي تقاعس عن الوفاء بوعوده في دفع المبالغ المالية التي وعد بها النجرانيين^(٢).

وبعد عودة حسن بن هبة الله المكرمي إلى بلاده، تزايدت الثقة والانتصارات عند جيوش الدعوة الإصلاحية حتى استطاعوا السيطرة على بلاد نجد، أما أهل نجران فانخرطوا في بعض الحروب والمناوشات العسكرية مع جيرانهم في عسير، ففي عام (١١٩٩هـ/١٧٨٥م) قاموا بالهجوم على بعض البلدان العسيرية، وبقوا على اتصال بأهل المخلاف السليماني ومناصرة فريق على آخر^(٣).

نجحت الدولة السعودية الأولى في توحيد نجد ثم واصل أئمتها في نشر الدعوة الإصلاحية في البلدان الشرقية والشمالية، من الجزيرة العربية، ولم ينسوا إرسال بعض قواتهم إلى النواحي الغربية والجنوبية، وكان الشيخ هادي بن قرملة القحطاني وابنه مبارك ممن تولى مد نفوذ الدولة إلى بلاد قحطان الجنوب ونجران^(٤)، وفي بدايات القرن

(١) المصدر نفسه، للمزيد انظر: موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥)، ص ١٥٢-١٥٣.

(٢) للمزيد انظر: عبد الرحيم عبد الرحمن، الدولة السعودية الأولى، ص ٧٢ وما بعدها، عبد الله العثيمين. تاريخ المملكة العربية السعودية (١٤١٤هـ)، ج ١، ص ١٠٦-١٠٧، موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥)، ص ١٥٤.

(٣) انظر موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥)، ص ١٥٤، تاريخ جازان ونجران خلال القرنين (١١٢٠هـ/١٨١٧م)، وبخاصة في الجوانب العسكرية والحضارية جدير بالبحث. نأمل من أقسام التاريخ في جامعات نجران، وجازان، والملك خالد أن تلتفت إلى هذه الحقبة وتدرسها دراسة علمية أكاديمية.

(٤) للمزيد انظر، حسين بن غنام. تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والإفهام لمرئاد حال الإمام وتعدد غزوات ذوي الإسلام (الرياض، ١٤٠٢هـ)، ج ١، ص ١٢٩ وما بعدها، سلطان بن حثلين، وزكريا كورش. تاريخ قبيلة العجمان (دراسة وثائقية) (الكويت، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ص ٣٠-٣١.

(١٣هـ/١٩م) دخلت بلاد عسير تحت نفوذ آل سعود الأوائل، وتولى الأميرين محمد أبو نقطة وأخيه عبد الوهاب بن عامر توطيد حكم الدولة السعودية في عسير ونجران وجازان (المخلاف السليماني)، وكان هناك بعض المناوئين لامتداد الحكم السعودي في جازان وما جاورها، وكان الشريف حمود أبو مسمار القائد الرئيس لتلك المعارضة، لكن أمراء عسير وبخاصة عبد الوهاب بن عامر استطاعوا التصدي لكل المعارضين وهزيمتهم، والسيطرة على جنوب غرب الجزيرة وحكمها تحت مظلة أئمة آل سعود الأوائل^(١).

وقد لعبت نجران دوراً مهماً في جنوب غرب الجزيرة العربية، مع أن موقعها الجغرافي منزوياً إلى الداخل، إلا أن النجرائين كانوا يسعون إلى مد نفوذهم إلى بعض بلدان اليمن، ونواح من ديار المخلاف السليماني، وأحياناً يتصدون لغزوات الدولة السعودية في عسير ممثلة في أمرائها آل أبو نقطة، لكن القوة والغلبة كانت في يد السعوديين^(٢)، ومن ثم قرر أهالي نجران إرسال وفد برئاسة مقبل بن عبد الله إلى الإمام سعود بن عبد العزيز في الدرعية، وأبدوا ولاءهم وطاعتهم وأداء الزكاة، فاستقبلهم الإمام أحسن استقبال، وأرسل معهم كتاباً إلى أعيان نجران وأشرفها، قال فيه .. من سعود إلى جناب الأشرف حسين بن ناصر، وحسن بن دهشان، وحمزة ومحمد أبناء حسن وحسين بن أحمد، ومقبل بن محمد، وصالح بن عبد الله، وأحمد بن معوض، وأحمد علي بن شما، وصالح حسين مسلي سلمهم الله من الآفات، واستعملهم بالباقيات الصالحات، وبعد، ألقى علينا مقبل بن عبد الله، وأشرف على ما نحن عليه، وما ندعو إليه، وما نأمر به، وما ننهى عنه، ويصف لكم من الرأس أكثر من القرطاس، إن شاء الله، ونخبركم أننا متبعون لا مبتدعون، نعبد الله وحده لا شريك له، ونتبع رسول الله (ﷺ) فيما يأمر به وينهى عنه، ونقيم الفرائض، ونجبر من تحت يدنا على العمل بها، وننهى عن الشرك بالله، وننهى عن البدع والمحرمات، ونقيم الحدود، ونأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، ونأمر بالعدل والوفاء بالعهود، والمكاييل والموازين، وبر الوالدين، ووصل الأرحام، هذه صفة ما نحن عليه وما ندعو الناس إليه، فمن أجاب وعمل بما ذكرنا، فهو أخونا المسلم حرام الدم والمال، ومن أبى قاتلناه حتى يدين بما ذكرنا ... وأنتم أخص الناس باتباع محمد (ﷺ)، والحق عليكم أكبر منه على غيركم، والإسلام عزكم وشرفكم .. فالأموال فيكم الدعوة إلى الله، لأن الدعوة سبيل من اتبعه (ﷺ) .. ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الداعين إليه المجاهدين في سبيله لتكون كلمته العليا ودينه الظاهر..^(٣)

(١) للمزيد من التفصيلات عن تاريخ جازان وعسير ونجران خلال عصر الدولة السعودية الأولى، انظر: عبد الرحمن أحمد البهكلي. نفع العود في سيرة دولة الشريف حمود (جازان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ص ٦٥، ٧٥، ١١٥، ٢١٠، ٢١١، ١٤٤، ١٥٣، ٢٦٧، ٣٢٩، ٣٤٤. أحمد آل فائع. دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير وما جاورها (١٢١٥-١٢٢٣هـ) (الرياض: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص ١٨ وما بعدها، ابن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٦، ص ٥٢ وما بعدها.

(٢) المصادر والمراجع نفسها، وللمزيد انظر: موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥)، ص ١٥٦، ١٥٧.

(٣) انظر: مجلة الدارة، س(١) مج (٢) (الرياض، جمادى الأولى، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص ٨-٩.

ونجد أن هذه الرسالة قد أثرت إيجاباً حيث انضم بعض النجرانيين إلى دعوة الإمام، مع أن هناك من رفضها وتعاون مع مناوئين آخرين لأئمة الدعوة الإصلاحية^(١). واستمرت نجران ذات قوة ونفوذ في المنطقة، وبقيت قبيلة يام هي صاحبة النفوذ والسلطان في معظم الأراضي النجرانية^(٢).

وفي نهاية العقد الثالث من القرن (١٣هـ/١٩م) أصبحت الدولة السعودية الأولى صاحبة الحل والعقد في معظم بلدان الجزيرة العربية، مما أثار غضب الدولة العثمانية التي اتصلت بممثلها في مصر محمد علي باشا، فدعمته وشجعتة على الذهاب إلى الجزيرة العربية والقضاء على دولة آل سعود الأوائل، ولم يكن على محمد علي باشا إلا الامتثال لأمر السلطان العثماني، وفي حروب عديدة استطاع أن يقضي على الدولة السعودية، ويرسل عدد من الحملات إلى جازان وعسير وما جاورها من أجل تأديب أمرائها الذين كانوا مناصرين لآل سعود^(٣)، **وفي العقود الوسطى من القرن (١٣هـ/١٩م) مرت جنوب غرب شبه الجزيرة العربية بالعديد من الأحداث التي نجلها في النقاط التالية :**

١. بعد قضاء محمد علي باشا على الدولة السعودية الأولى مد نفوذه إلى جازان وعسير، لكن سيطرته لم تستمر طويلاً، وانتهت في نهاية الأمر بخروجه وجيوشه من الجزيرة العربية^(٤).
٢. كانت الدولة العثمانية المسؤولة الأول عن بلاد المسلمين، ومن ثم سعت بعد خروج محمد علي من الجزيرة العربية إلى الاتصال ببعض الأمراء المحليين في جازان وأحياناً في عسير واعترفت بهم حكماً على بلادهم، مقابل الاعتراف بالسلطان العثماني في أوطانهم وعلى منابرهم^(٥).
٣. ظهرت قوى معادية للعثمانيين، وأبرزها إمارة آل عائض في عسير، وبخاصة في عهدي الأميرين عائض بن مرعي وابنه محمد (١٢٤٩-١٢٨٩هـ/١٨٣٣-١٨٧٢م)، وقد استطاعت الدولة العثمانية القضاء على هذه الإمارة والسيطرة على عسير وجازان وأجزاء كثيرة من بلاد اليمن^(٦).
٤. بلاد نجران لم تدخل بشكل فعلي تحت نفوذ محمد علي باشا، أو حتى نفوذ الدولة

(١) للمزيد انظر موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥)، ص ١٥٧.١٥٨.

(٢) قبيلة يام جديرة بالبحث والدراسة، وهي تستحق إلى أن يفردها عدد من البحوث والكتب والرسائل العلمية توضح أهمية هذه القبيلة العربية على مر التاريخ القديم والإسلامي المبكر والوسيط والحديث.

(٣) للمزيد انظر فاروق أباطة، الحكم العثماني في اليمن، ص ٣١ وما بعدها، محمد أحمد العقيلي. تاريخ المخلاف السليماني (١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ج ١، ص ٥٠٦ وما بعدها عائض الروقي، حروب محمد علي باشا في شبه الجزيرة العربية، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى (١٤١٤هـ)، ص ٢٩ وما بعدها، ابن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج ٦، ص ٥٨ وما بعدها.

(٤) فاروق أباطة، الحكم العثماني، ص ٤٢ وما بعدها موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥)، ص ١٦٠ وما بعدها.

(٥) انظر، الحسن بن عاكش الضمدي. الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني. (الرياض: ١٤٢٤هـ)، ص ١٦٥ وما بعدها، العقيلي، تاريخ المخلاف، ج ٢، ص ٣٦٢ وما بعدها.

(٦) للمزيد عن إمارة آل عائض، انظر، علي أحمد عسيري. عسير (١٢٤٩هـ/١٨٣٣م-١٢٨٩هـ/١٨٧٢م) (أبها، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص ١٥٨ وما بعدها.

العثمانية، أو أي إمارة محلية، وإنما كان شيوخ القبائل النجرانية هم الحكام لبلادهم، وتقودهم قبيلة يام، لكنهم لم يكونوا في عزلة عن الأحداث السياسية في جنوب شبه الجزيرة، فكانوا على صلات حميمة مع بعض أمراء جازان المحليين، وفي أغلب الأحيان على خلاف مع إمام اليمن، أو الأمراء المحليين في عسير^(١).

٥. الناظر في وثائق ومصادر القرن (١٢هـ/١٩م)، يجد أن قبائل العجمان اليامية، كانت ذات إسهامات سياسية وعسكرية في وسط وشرق الجزيرة العربية، وبخاصة في عهد أئمة آل سعود خلال الدولة السعودية الثانية (١٢٣٩-١٣٠٩هـ/١٨٢٣-١٨٩١م) فكانوا لا يتورعون عن مناصرة بعضهم على بعض أثناء الصراعات الأهلية^(٢)، أما قبائل نجران فلا تذكر المصادر انخراطهم مع العجمان، وإنما كانوا نشطين في الاتصالات السلبية أو الإيجابية مع القوى السياسية المحيطة بهم^(٣).

٦. في عصر النفوذ العثماني الأخير في عسير وما جاورها (١٢٨٩-١٣٣٧هـ/١٨٧٢ - ١٩١٨م) استمرت بلاد نجران على وضعها السياسي الاستقلالي تحت نفوذ زعمائها وشيوخها المحليين، وإن حدث بعض المناوشات مع القوى العثمانية في اليمن أو جازان أو عسير، لكنها محدودة، كما أن العثمانيين لم يسعوا في السيطرة على بلاد نجران ربما لموقعها الداخلي، ثم إن ذلك سوف يكلفهم نفقات كبيرة، مع أن العائد من وراء ذلك قليل أو شبه معدوم^(٤).

وفي العقد الرابع من القرن (١٤هـ/٢٠م)، كانت الدولة السعودية الثالثة بقيادة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل قد مدت نفوذها في وسط الجزيرة العربية، وفي عام (١٣٢٨هـ/١٩٢٠م) أرسلت بعض السرايا السعودية إلى كل من نجران وعسير^(٥)، وفي

(١) فاروق أباطة، الحكم العثماني، ص ٨٢ وما بعدها، ابن جريس، القول المكتوب، ج٦، ص ٦١ وما بعدها. ويوجد في مكتبتنا العديد من الوثائق التي توضح بسالة وقوة قبيلة يام، وحروبها مع أئمة اليمن وبعض الإمارات المحلية في جازان خلال القرنين (١٢-١٣هـ/١٩-١٨م). وهذه القبيلة (يام) تستحق أن يصدر عنها عدد من الكتب والرسائل العلمية.

(٢) للمزيد من التفاصيل عن الدولة السعودية الثانية وعلاقتها بالعجمان، وحروبها الأهلية، انظر، عبد الفتاح أبوعلية. تاريخ الدولة السعودية الثانية (الرياض: ١٤٠٥هـ) ص ٣١، ١٠٧، ١٠٩، وما بعدها، فأورق أباطة، ص ٣٩، سلطان بن حثلين، تاريخ قبيلة العجمان، ص ٥٦، ٥٥.

(٣) المراجع نفسها، للمزيد انظر، موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥)، ص ١٦٥-١٦٧.

(٤) كان العثمانيون يعانون من عقبات عديدة لاتساع رقعة البلاد التي يسيطرون عليها، ثم للفساد الإداري الذي كانت تعيشه مؤسساتهم الإدارية، وأيضاً عدم تقبل قبائل شبه الجزيرة لهم، فهم ينظرون لهم أنهم غزاة خارجيون، وقبائل نجران من أكثر القبائل التي كانت تشعر بذلك منذ عصر العثمانيين الأوائل في اليمن خلال القرنين (١٠-١١هـ/١٦-١٧م). صلات نجران مع العثمانيين خلال العصر الحديث من الموضوعات التي لم تطرق ولم تدرس، هذا أن نرى باحثاً جاداً أو طالباً من طلاب برامج الدراسات العليا في أقسام التاريخ في المملكة العربية السعودية فيتخذ هذا الموضوع عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه.

(٥) للمزيد من التفاصيل عن تلك السرايا وبيدات دخول عسير وما جاورها تحت الحكم السعودي الحديث انظر: صلاح الدين مختار. تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها (بيروت، د. ت)، ج ١، ص ٣٩٩، محمد آل زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز (الرياض، ١٤١٥هـ) ص ١٧٦، موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥)، ص ١٦٧-١٦٨.

سنة (١٣٤٠هـ/١٩٢٢م) أصبحت بلاد عسير تحت حكم الإمام عبد العزيز آل سعود^(١)، أما جازان ونجران فقد مرت ببعض المراحل حتى صارت جزءاً من الدولة السعودية الحديثة، وهذه المراحل على النحو التالي :

١. كانت جازان خاضعة لإمارة الأدارسة في صيبا، في الوقت الذي دخلت عسير تحت حكم الإمام عبد العزيز^(٢)، ومن ثم كانت الإمارة السعودية في أبها على اتصالات مستمرة مع الأدارسة في جازان، وفي الغالب كانت صلات سياسية عسكرية، مع أن الأدارسة أنفسهم كانوا في مد وجزر، فأحيانا تكون صلاتهم مع إمام اليمن يحيى حميد الدين ودية فهم يطلبون منه العون والمساعدة ضد الجيش السعودي، وأحيانا أخرى يبدون رغبتهم في الانضمام إلى حكومة ابن سعود^(٣)، وبعد مشاورات ومفاوضات عديدة استغرقت سنوات عديدة سلم الأدارسة بلاد جازان للإمام عبد العزيز ودخلوا تحت نفوذه^(٤).
٢. كان الإمام يحيى حميد الدين في عداء مع قوة ابن سعود الجديدة فهو يرغب في السيطرة على بعض أجزاء جنوب غربي شبه الجزيرة مثل نجران وبعض النواحي من بلاد جازان^(٥)، وهناك الكثير من الوثائق والمراسلات بين الإمامين عبد العزيز آل سعود ويحيى حميد الدين بخصوص هذا الموضوع، وكان الإمام عبد العزيز حريص على أن تحل مشاكل الحدود وبلاد نجران والأدارسة بالطريقة السلمية، لكن الإمام يحيى حميد الدين كان مراوفاً في ذلك، فلم يكن متعاوناً وجاداً في هذا الجانب^(٦)، لهذا لجأ ابن سعود في بداية الخمسينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى إرسال جيشين بقيادة ابنه الأميرين سعود وفيصل، أحدهما ذهب عبر بلاد السروات بقيادة الأمير سعود حتى دخل نجران وسيطر عليها، والآخر سار عبر بلاد تهامة بقيادة الأمير فيصل حتى دخل الحديدة^(٧). عندئذ وافق الإمام يحيى حميد الدين على عقد اتفاقية بين

(١) المراجع نفسها، للمزيد انظر: غيثان بن جريس . عسير في عصر الملك عبد العزيز، (جدة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص ١٩ وما بعدها، للمؤلف نفسه، صفحات من تاريخ عسير (الرياض: طبعة ١٤٣٤.١٤٣٥هـ / ٢٠١٣.٢٠١٤م) الجزء الأول والثاني، ص ١٢١ وما بعدها .

(٢) للمزيد عن تاريخ الأدارسة في منطقة جازان وعلاقتهم بالإمام عبد العزيز آل سعود والإمام يحيى حميد الدين، انظر : العقيلي، تاريخ المخلاف، ج٢، ص ٩٢٣ وما بعدها، أميرة علي المداح، المخلاف السليمانى تحت حكم الأدارسة، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة أم القرى (١٤٠٦هـ/١٩٨٥م)، ص ٢٢ وما بعدها .

(٣) العقيلي، تاريخ المخلاف، ج٢، ص ٩٢٣ وما بعدها، يوسف حسن العارف، أضواء على مذكرات سليمان شفيق باشا (متصرف عسير) (١٣٢٦هـ/١٩٠٨.١٩١٢م) (أبها، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م)، ص ٧١ وما بعدها .

(٤) المراجع نفسها، موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥)، ص ١٦٨، ابن جريس، القول المكتوب، ج٦، ص ٦٤ وما بعدها .

(٥) آل زلفه، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص ١٧٨ وما بعدها .

(٦) هناك عشرات الوثائق المنشورة وغير المنشورة التي تبين المراسلات بين الإمامين عبد العزيز آل سعود، ويحيى حميد الدين وبخاصة فيما يتعلق بالحدود اليمنية السعودية في نجران وجازان، للمزيد انظر العقيلي، تاريخ المخلاف، ج٢، ص ٩٢٣ وما بعدها، انظر أيضاً جريدة أم القرى س(١٠) ع (٤٧٥) (٢ / رمضان ١٣٥٢هـ / ١٩٣٤م) ص ١ .

(٧) انظر عبد الله العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج٢، ص ٢٨٠ وما بعدها، موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥)، ص ١٧٢ وما بعدها، محمد سعيد منشط الشغفي "العلاقات السعودية اليمنية في سنة (١٣٥١. ١٣٥٢هـ/١٩٣٣.١٩٣٤م . جريدة المقطم المصرية (الرياض، ١٤١٤هـ)، ص ٢٣٤. ٢٣٦ .

البلدين (المملكة العربية السعودية واليمن) عام (١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م) ، ومن ثم توصل الطرفان إلى حل بعض المشاكل العالقة بينهما وبخاصة الحدود ومشكلة نجران^(١) . كانت الاتفاقية التي عقدت بين البلدين تسمى اتفاقية الطائف، ويمثل الوفد السعودي فيها الأمير خالد بن عبد العزيز آل سعود، ومن الجانب اليمني عبد الله بن الوزير، واحتوت الاتفاقية على (٢٢) بندا رسمت الحدود بين الطرفين، ونظمت العلاقات بين الدولتين^(٢) ، ومن أهم بنودها البند الرابع الذي جعل منطقة نجران ضمن أجزاء الدولة السعودية الحديثة، وقد ورد فيها ما يلي : " ... ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة، وكلما هو تحت عقبة نهوق إلى أطراف نجران ويام من جهة الشرق، هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة، وكلما هو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه، مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً، أو تحت ثوب المملكة العربية السعودية قبل سنة (١٣٥٢هـ / ١٩٢٢م) ، كل ذلك في جهة يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية، وما ذكر من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة فهو بناء على ما كان من تحكيم جلالة الإمام يحيى لجلالة الملك عبد العزيز بأن جميعها تتبع المملكة العربية السعودية"^(٣) .

هكذا أصبحت نجران جزءاً رئيساً من المملكة العربية السعودية، وتعاقد عليها أمراء عديدون منذ عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود^(٤) . والدارس لتاريخ وحضارة منطقة نجران منذ بداية النصف الثاني في القرن (١٤هـ / ٢٠م) حتى اليوم يجدها تتعم بالازدهار والتقدم والتنمية الحضارية الجيدة^(٥) .

(١) المراجع نفسها، للمزيد انظر خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز (بيروت، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م)، ج ١، ص ٦٠٤-٦٠٥ .

(٢) انظر نصوص الاتفاقية عند آل زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص ٢٠٩ وما بعدها . لازالت نصوص الاتفاقية تحتاج إلى دراسات تاريخية تحليلية توضح أبعادها الحضارية على الدولتين، نأمل أن نرى أحد طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد فيدرس هذا الموضوع دراسة علمية تحليلية أكاديمية .

(٣) انظر، آل زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص ٢٠٩ وما بعدها، موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥)، ص ٢١٠ .

(٤) أي في عهد سبعة ملوك من آل سعود هم (عبد العزيز وأولاده، سعود، وفيصل، وخالد، وفهد، وعبد الله وأخيراً سلمان الذي تولى العرش يوم الجمعة (١٤٣٦/٤/٣هـ)، وفي عصر هؤلاء الملوك السبعة تولى نجران حوالي (١٢) أميراً، وتعد نجران اليوم من مناطق المملكة العربية السعودية .

(٥) دراسة هذه الفترة الزمنية (١٣٥٠ - ١٤٤٠هـ / ١٩٣١ - ٢٠١٩م) ضرورية ومهمة، وجامعة نجران عليها مسؤولية كبير لإنشاء مركز بحوث تاريخي اجتماعي اقتصادي ثقافي حضاري يهتم بدراسة أرض ومجتمع نجران، ونأمل أن نرى هذه الجامعة الفنية تقوم بمسؤولياتها على الوجه المطلوب، وبلاد نجران تستحق الكثير من الاهتمام في مجالات البحث والتحليل .

سادساً : آراء ووجهات نظر:

بلاد نجران ذات تاريخ عريق، فالباحث في المصادر الأثرية والقديمة يتضح أن الديار النجرانية عرفت العديد من العقائد السماوية والوضعية، وارتادها كثير من الأمم الوثنية والنصرانية والإسلامية، ولذا فهي جديرة بالبحث والدراسة، ونأمل من المؤرخين والآثارين وعلماء الأجناس والاجتماع والاقتصاد أن يدرسوها من شتى الجوانب وعبر أطوار التاريخ، ونشير في النقاط التالية إلى عدد من الموضوعات المهمة التي تستحق البحث والتحليل، وهي:

١. تاريخ وحضارة نجران خلال العصر الحجري .
٢. تاريخ نجران في العصر الإغريقي .
٣. تاريخ نجران في عصور دول اليمن القديمة .
٤. تاريخ نجران المحلي قبل الإسلام .
٥. نجران خلال أي قرن من قرون الإسلام، من القرن الهجري الأول إلى القرن (١٥هـ/٢١م) .
٦. الحياة الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو الفكرية والثقافية والدينية في القرنين السابقين لظهور الإسلام، أو في أي قرن من العصر الإسلامي (١ق - ١٥ق هـ/ ٧ق - ٢١م) .
٧. دراسة آثار نجران قبل الإسلام، أو في القرون الثلاثة الأولى من عصر الإسلام .
٨. أحوال نجران السياسية والحضارية في القرنين (١٣هـ/١٩م - ٢٠م) .
٩. تاريخ التنمية في نجران من عام (١٣٥٠ - ١٤٤٠هـ/١٩م - ٢٠م) .
١٠. أعلام نجران في أي قرن من قرون العصر الإسلامي (١ق - ١٥ق هـ/ ٧ق - ٢١م) .